النفس و الجنس و الجريمة

(دراسة)

د.خليل فاضل



النفس و الجنس و الجريمة

(دراسة)

د.خليل فاضل

النفس و الجنس و الجريمة

(سيكولوجية القتل والقاتل)

الطبعة الأولى- ٢٠٠٧

رقم الإيداع: ٢٠٠٧/١٥٣٠١

الغلاف: عمر مصطفى

دار ملامح للنشر

٢ ش الديوان –جاردن سيتي – القاهرة

تليفون: ٠١١٢٧٧١٥٢٢

E-mail : info@malamih.com
Website: www.malamih.com

المدير التنفيذي: محمد الشرقاوى

جميع الحقوق محفوظة لدار ملامح للنشر © ٢٠٠٧

المقدمة





هذا الكتاب

عن العلاقة الجدلية بين النفس و الجريمة وارتباط الجنس بهما فى بعض الحالات . ينقسم إلى ثلاثة فصول: فى الفصل الأول مابين ريا وسكينة وبنى مزار، اختار المؤلف حادثتى ريا وسكينة وبنى مزار. على اعتبار أن كلا منهما قد حقق دوياً إعلامياً ارتجت له جنبات الرأى العام فى مصر وإن كانت ريا وسكينة قد حظت بالقسط الأوفر لقدومها التاريخى ، وهنا يبرز السؤال المحير ما هو ارتباط ريا وسكينة بالجنس؟ (كثير من الناس لا يعرف أنهما كانتا يديران بيوتاً للدعارة بمساعدة رجالهما) أما فى حالة بنى مزار ومع كل التشوش الحاصل نتيجة تباين الآراء واختلافها وتناقض بعض الأمور إلا أن بتر الأعضاء التناسلية للذكور والعبث بتلك للإناث يعد بالفعل هوسًا جنسيًا بصرف النظر عن من هو (القاتل) وأن وجود تلك الأعضاء فى مكان الجريمة بعد أن دلّ عليها المتهم يدحض نظرية المؤامرة فى بيع الأعضاء البشرية أو مسألة أخرى تتعلق بالموروث الشعبى فى تلك المنطقة بمفهوم (فتح الكنز) وما شابه ذلك.

أما فى الفصل الثانى المعنون فى مسألة القتل فيتناول الكاتب أحداثاً هزت بلادها. ففى عيد ميلاد هتلر قام مراهقان أمريكيان بنسف مدرستهما وقتل خمسة عشر طالباً بدم بارد، وفى أمريكا أيضا كان قاتل الـــ ١٧ رجلاً شاذاً وجانحاً وقاتلاً غير عادى، أكل أجزاء من جثث ضحاياه ومارس الجنس مع أربعة من الموتى ثم مات على يد سجين آخر داخل السجن بعد أن ضربه ضرباً مبرحاً داخل المرحاض ، وينتقل المؤلف فى نفس الفصل من أمريكا إلى إسكتلندا حيث شرح بالتفصيل مأساة دنبلين تلك القرية الوادعة التى روعها توماس هاملتون بقتلة ستة عشر طفلاً ومدرستهم ثم انتحر بنفس

أداة القتل مسدسه النصف أتوماتيكى الـــ ٩ ميللميتر – ومن إسكتلندا إلى مصر ، إلى دار السلام أحد أطراف القاهرة الكبرى بعد أن قتل العشيق الزوج بمساعدة زوجته ثم رقص على جثته ومارسا الجنس ، ومن دار السلام إلى محافظة الغربية شمال القاهرة لقاتلة زوجها مدمن الجنس و الفياجرا ثم مرة أخرى يعود بنا المؤلف إلى القاهرة لمناقشة ظاهرة قتل الأزواج التى كانت مثيرة جداً للرأى العام فى مصر بعد أن قتلت زوجة فى الجيزة زوجها بالساطور وبعدئذ صارت حكاية تلك فيلماً (المرأة و الساطور).

أما الفصل الثالث: اغتصاب وشذوذ؛ فيتناول الأبعاد النفسية لانتهاك الأطفال جنسيًّا ، ومنها إلى قضية بريطانية حيث يسمح القضاء هناك للجانى باستجواب المجنى عليها فيما يشبه إعادة اغتصابها .

وفى المملكة المتحدة أيضاً يفتح المؤلف ملفات العنف الزوجى الشائع فى كل بلدان العالم تقريباً، لكن هذه المرة يناقش عنفاً غير محسوب من الزوجة (جاكى) التى هشمت زوجها (أندرو) ، وكذلك فى بريطانيا وفى قضية غريبة وفريدة من نوعها كان بطلها مهندس تليفونات بريطانى استخدم مهارته واستغل مهنته، لكى يرعب ٣٠٠٠ امرأة عن طريق الهاتف؟! ، ثم يناقش (ظاهرة الجنس الثالث) لمغنى البوب الأشهر (بوى جورج) الذى يفضل فنجاناً من الشاى على أية علاقة جنسية مع رجل أو امرأة ؟! (على حدّ قوله) ومن عالم أغانى البوب الزاهى الألوان إلى القاهرة لمناقشة (جريمة الأسبوع ، التى نشرتها مجلة" روز اليوسف" تحت عنوان (حفل جنسى جماعى فى مصر الجديدة) ليناقش المؤلف ويفسر ويحلل ظاهرة الجنس الجماعى فى إطار العطل الجنسى المتخفى وراء ممارسات شاذة وكاميرا فيديو ، وذلك الخط الأحمر بين ما يدور فى العقل ، وما يحدث فى

الواقع مع تحديد الأسباب الحقيقية للانحراف الجنسى . أما موضوع تنظيمات وشواذ فيشرح فيه المؤلف ما يشوب قضايا المثلية الجنسية التى تتخذ لها الأجهزة الأمنية أسماء عدة مثل (أبناء لوط) و(عبدة الشيطان) ، ومنها ينتقل إلى السؤال المحير للغاية: لماذا يتزوج بعض الرجال الشواذ جنسيًّا ضاربا المثل بالحالة الشهيرة فى رواية عمارة يعقوبيان لعلاء الأسوانى؟، وبعدئذ يحلل المؤلف فى محاولة تحليلية نفسية للفهم تعريف الجنوح الجنسى بشكلٍ عام، ثم يصنف الجنسين المثليين علميًّا ، وبعدها يناقش مفهوم الماسوشية أو (المازوخية) بمعنى استعذاب الألم و الذل جنسيًّا ، ثم ينتقل إلى منطقة أخرى غريبة بعض الشىء لكنها تكاد تكون ظاهرة فى المجتمعات العربية طارحاً السؤال هكذا : لماذا يقبل الناس على مشاهدة الفضيحة؟ ، سحر البورنو الخاص ذلك ، ويختتم الفصل بحكاية الرئيس السابق للولايات المتحدة (بيل كلينتون) وجوعة الجنسى فى ضوء فضيحة (مونيكا).

الكتاب فى فصله الأول يلمس العلاقة بين النفس و الجريمة ويمر بالجنس عابراً وفى الفصل الثانى تكون العلاقة الثلاثية بين النفس و الجنس و الجريمة (عنوان الكتاب) الأوضح فى جرائمها وأحداثها .

أما الفصل الثالث فهناك ربط بين النفس و الجريمة و الجنس ، وبين النفس والجنس فقط دون الجريمة.

يحاول الكتاب الرصد ، التحليل ، الفهم ، التأمل ويترك للقارئ مساحات كبيرة لمتابعة البحث وللتأمل.



مدخل

هل أصبح العنف إدماناً فى مجتماعتنا العربية ؟

هل أصبح يرى رؤية جمعية تكون فيها الرغبة الخاصة متوحدة مع خيال العوام؟

لماذا ينجذب الناس فى جموعهم هكذا إلى صور وحكايات القتل والتعذيب، حكايات الجريمة وأخبار الحوادث ..؟

هل أصبح ذلك وعاءً مرضياً للعامة يفرغون فيه رغباتهم المدفونة، فى سماع قصص وروايات القتل وغيرها ؟ هل أصبح الخط باهتاً بين الفرد والناس، وبين الخاص والعام ؟ ...

هل تكمن الإثارة فى فتح جروح الخاص والتأمل فيها بل و التحديق المجنون فى أعماقها؟

هل طالت تلك الجروح العقول أيضاً ؟

هل هى ثقافة العنف و ثقافة الجرح، أم أنها الثقافة المجروحة التى ينحدر المرء فيها ويتمزق فى الأعين، وفى التليفزيون وعلى صفحات الصحف ؟!

ريّا وسكينة ورجالهما استخدموا الأيادى العارية لخنق ضحاياهم، ثم دفنهم تحت بلاط الشقق اللاتى استأجروها، أما فى بنى مزار استخدم القاتل سكيناً وساطوراً، المتاح والمقبول فى مصر وقراها، فى القاهرة والإسكندرية وأماكن أخرى من الصعيد، يلعلع الرصاص ليخترق الجماجم والأجساد، هناك من يحرق ويغرق وهناك من تقطع زوجها أشلاء، ومن تستخدم خبرتها فى الحقن لتخدر زوجها لتقطعه نصفين، ترمى نصفاً فى

القمامة وتحتفظ بالآخر تحت السرير، وهكذا ... سلسلة لا تنتهى من الجرائم على مرّ العصور من ريّا وسكينة حتى بنى مزار، حاولنا فهم ورصد بعض علاقات تلك الظواهر ببعضها البعض، حلّلناها جاهدين فى محاولة شاقة لفهم النفس البشرية.

مجـــرم أم مجنــــــون

تنشر الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية فى جميع أنحاء العالم أخبارا وتحقيقات مثيرة عن الجريمة وأبعادها ، فى هذا المقال أحاول إلقاء الضوء على قضية حساسة تشغل بال الناس بشكل عام والقضاء وأطباء النفس بشكل خاص ....

يستخدم الطب النفسى عادة فى المحاكم من أجل تثبيت دعائم ضمير المجتمع وأخلاقه العامة . وحينما تتفق آراء الطبيب النفسى مع حيثيات القضية، فإن الطب النفسى من خلال ابنه الشرعى (الجنون)، يقدم تبريرا معقولا يساعد المحكمة على الرأفة والحكم العادل ، وحينما يريد القضاء معاقبة الطب النفسى والمتهم على حد سواء، فإن المعنيين بأمر العدالة يرون فى الطب النفسى والمتهم أصحاب هدف واحد ألا وهو تفادى العقوبة ، وبالتالى ينظر إلى المتهم على أنه إنسان سيء وشرير، وإلى الطب النفسى كنموذج ساذج للعلم والمعرفة .

فى الحقيقة أنه لا تناقض بين الجنون والشر، بمعنى أن تكون مجنونا لا يعنى أنك لست شريرا والعكس بالطبع صحيح. فالبعد الأول الشر .. أو الشخصية غير السوية. مجرد قياس لصفات غير مرغوبة مثل أن تكون عديم الأخلاق معتديا مزعجا وفظيعا ، من ناحية أخرى فإن الجنون لا يعنى سوى اختلال العقل والإدراك والشعور والتفكير ، أى المرض العقلى .

لكن لماذا يقرن الناس مسألة الإجرام والشر بالجنون ؟...

الإجابة بسيطة، وتتعلق بأمر واحد، ألا وهو مسئولية الإنسان، عما يرتكبه من أفعال ، فإذا كان مرتكب الفعل الجنائى مثلا مريضا عقليا فإنه يكون غير مسئول عن أفعاله، أما الشرير فإنه حتما يستحق العقاب ، لهذا فإن ربط الشر بالمرض العقلى يتيح توزيع اللوم بشكل يرضى الجميع.

فالذى يقتل أباه لأنه رأى فيه الشيطان، نتيجة ضلالات محددة ،فإنه فى رأى البعض من المختصين يكون معفيا من المسئولية فيما يخص أباه فقط ، أما إذا قتل أباه وخرج إلى الشارع، وقتل مجموعة من الناس، يكون غير مسئول عن حالة قتل أبيه ومسئول فى حالة قتله للناس ، بينما يرى الكثير من المختصين أن هذا الرجل مصاب بمرض عقلى، وهو مختل الادراك والشعور فى كل الأحوال ويجب أن يعفى من المسئولية بشكل عام. وهناك آراء واجتهادات كثيرة لكنها كلها تتفق على شىء واحد ألا وهو أن الطب النفسى و العدل، كلاهما — على رغم من قوانينهما الثابتة — يعدان من أكثر الأمور إثارة للجدل واختلاف الرأى. ومن هنا فإن القاضى المتزمت، والمحامى المتمسك بكل حرف مكتوب، والطبيب النفسى الذى يحاول تطبيق المعلومات العلمية على البشر بحرف المسطرة، سيجدون ما يختلفون عليه بشكل مطلق وحاد .

كل هؤلاء لا يمكن أن تكون آراؤهم صحيحة بشكل مطلق. لابد وأن تكون هناك رؤية خاصة لكل إنسان على حدة، ولكل حالة فى شكلها الاجتماعى، ولكل حدث فى بعده وأثره وخلفيته الاجتماعية والإنسانية .

القصه الشهيرة لسفاح يوركشاير (بيتر ساتكليف) الذى قتل عددا لا يحصى من النساء المعروف منهن فقط سته عشرة امرأة. أجمع استشاريو الطب النفسى على أنه مريض بفصام العقل (السكيدزوفرينيا) ، والقضاة يعرفون أكثر من أى أحد أن أطباء النفس صادقون، وأن (ساتكليف) فعلا مجنون، لكن العرف الاجتماعى، والحرص على مشاعر الرأى العام، يستدعى أن يكون المتهم مذنبا ويعاقب، لكن الطريف فى الأمر أنه بعد سنوات من سجن (ساتكليف) نقل بأمر قضائى إلى مصح خاص للأمراض العقلية .

نفس الشىء بالنسبة إلى مريض مدمن ومضطرب الشخصية ، عدوانى ، خطر على نفسه وعلى أهله وعلى المجتمع، بدون عمل، بدون رعاية، لم تتعد فرص علاجه سوى وصف بعض العقاقير ذات التأثير النفسانى ، قادت الظروف هذا المريض إلى ارتكاب فعل عدوانى. فما هو موقف العدالة والطب النفسى منه حالة هياجه الشديد واضطرابه وحيرته وتوتره وتشوشه الذهنى فى وقت محدد؟؟.

هل لأنه "شرير" يكون مسئولا عن كل أفعاله، وننسى إدمانه واضطراب شخصيته وانخفاض ذكائه وقلة حيلته؟؟؟ .

إذا رفضت العدالة تشخيص حالة المريض على أنه مختل الإدراك لحظة ما، فإن هذا الرفض يعنى رفض اعتبار التلويح بالعنف، كما يعنى الخلو من المسئولية والتهوين منها بالمرض. ويعد محاولة للتخويف. ومن ثم قد يكون التلويح بالعنف مجرد حدث عادى قام به مريض مدمن مزعج محبط يبحث عن حل داخل إطار مؤسسات المجتمع المختلفة .

فى النهاية فإن العدالة ومؤسساتها، حينما تأخذ بين جناحيها طب النفس وعلومه، فإنما تحاول قدر إمكانها تكوين ترسانة مسلحة تدافع عن المجتمع وأفراده ، لكن فى نفس الوقت فهناك من يشير بأصابع الاتهام إلى الطب النفسى باعتباره أحد أسباب وصول بعض الناس إلى أن يكونوا مرضى بهذا الشكل. بمعنى عدم توفيره شكلا وقائيا عمليا للناس المعرضين للإصابة والاكتفاء بعلاجهم ، وكذلك بعدم توفيره فرص التأهيل والعلاج الحقيقى بالتعاون مع المؤسسات الاجتماعية والقانونية وكل أنظمة الدولة ، لا بأن يكون العقاب وحده وسيلة لردع من أساءوا إلينا جميعا، وهو فى الحقيقة من ضحايا أخطاء المجتمع بما يحوى ذلك من بيت وأسرة ومدرسة ومستشفى وعيادة .

الفصل الأول

ما بين ريًّا وسكينة وبنى مزار

البداية فى بنى مزار كانت ...

(١٠ قتلــــى فى مذبحــــة مروعــــة وغامــــضة فى بــــنى مــــزار الجناة اقتحموا منازل الضحايا ليلا وهربوا دون أن يشعر بهم أحد)

هكذا كان عنوان الخبر فى صحيفة الأهرام عدد ٣٠ ديسمبر ٢٠٠٥ ، ثم استطرد المحرر (شهدت الساعات الأخيرة من هذا العام مذبحة مروعة جرت وقائعها داخل عزبة شمس الدين التابعة لمركز بنى مزار فى محافظة المنيا، عندما عثر الأهالى فى ساعة مبكرة من صباح أمس على عشر جثث لثلاث أسر مختلفة مقتولين داخل منازلهم المتقاربة وغير المتلاصقة بشارع واحد ومن بينهم٤ أطفال وثلاث سيدات).

وفى عرض تفصيلى للخبر أوردت الصحيفة أن قد أشارت المعلومات الأمنية إلى أن جناة مجهولين اقتحموا منازل الضحايا خلال الليل، وفى سكونه نفذوا المجزرة بطريقة وحشية باستخدام آلات حادة وأجهزوا على جميع من وجدوهم بالمنازل الثلاثة ومن بينهم رضيعة لم تتعد عامها الأول، عثر الأهالى بالمترل الأول على أسرة مكونة من الزوج والزوجة وطفليهما١٠ و٨ سنوات، وبالمترل الثانى على جثة محام شاب ووالدته العجوز، وفى المترل الثالث على جثث مدرس شاب، وزوجته ،وطفليهما٣ سنوات وعام واحد.

انتقل للقرية فريق من أعضاء نيابات المنيا لإجراء المعاينات لمسرح المذبحة، والتحفظ على آثار الجريمة، أكدت المعاينة تشابه طريقة القتل لأفراد الأسر الثلاث والتمثيل بهم وانتزاع بعض أعضاء الضحايا فى مشهد بشع، مما يرجح أن يكون الدافع هو الانتقام الرهيب مع عدم استبعاد الدوافع الجنائية

الأخرى، في الوقت الذى أكدت فيه مصادر أمنية عدم وجود دوافع سياسية وراء الجريمة.

فى اليوم التالى نشرت الأهرام — السبت ٣١ ديسمبر ٢٠٠٥ — الصفحة الأولى : تحت عنوان كشف لغز مذبحة بنى مزار — الجانى مريض نفسيا ارتكب المجزرة بصورة هستيرية (توصلت أجهزه الأمن إلى معلومات محددة ودقيقة من شأنها كشف الغموض الذى أحاط بمذبحة عزبة شمس الدين ببنى مزار بالمنيا) ، وأشارت المعلومات التى حصل عليها المحرر القضائى للأهرام إلى أن مرتكب المجزرة شخص مريض نفسيا، وهو من سكان البلدة، وأقدم على جريمته الوحشية بدوافع هيستيرية فى تنفيذ الجريمة، والتمثيل بجثث الضحايا العشرة، خاصة الأطفال منهم بطريقة بشعة، واستئصال أعضائهم وأخذها معه.ومن المنتظر أن تعلن وزارة الداخلية خلال الساعات المقبلة تفاصيل المذبحة وسيناريو تنفيذها، وفقاً لاعترافات الجانى التفصيلية، بعد جمع الأدلة والقرائن المؤكدة على ارتكابه للجريمة، وكانت عمليات الفحص الفنى للطب الشرعى والمعمل الجنائى لآثار المذبحة، وتشريح جثث الضحايا قد أكدت وحدة الأداة المستخدمة فى الجريمة البشعة وتماثل طريقة القتل والإصابات التى لحقت بالقتلى وتماثل أسلوب دخول المنازل الثلاثة للضحايا الذين تم اختيارهم بطريقة عشوائية إجرامية.

كما أشارت المعاينات إلى أن السفاح باغت الضحايا أثناء نومهم ، و لم يكن أمامهم فرصة للاستغاثة أو السيطرة على القاتل المتوحش الذى راح يمثل بجثث قتلاه بطريقة عبثية وحشية، حيث تبين ذبح جميع الضحايا من الرقبة باستخدام آلة حادة بطريقة واحدة،وشق بطونهم بالأداة نفسها، ثم الضرب بعنف على مؤخرة الرأس من خلال سنجة أو ساطور، (اتضح

بعدئذ أنه ساطور) فضلا عن استئصال أعضاء الذكورة بطريقة متماثلة، والعبث بالأعضاء التناسلية للسيدات.وكانت أجهزة الأمن فى إطار بحثها المكثف عن الجانى، وكشف لغز المذبحة قد استجوبت عدداً كبيراً من أهالى البلدة وأقارب الضحايا للوصول إلى المجرم، ومن خلال جمع الأدلة والمعلومات تم التوصل كما أوردت الصحيفة إلى تحديد شخصية مرتكب المجزرة ، كما أوضحت المعلومات عدم وجود عنف فى اقتحام القاتل لمنازل ضحاياه، بل دخل بطريقة عادية مما يرجح أنه شخص معروف للقتلى، وقد سادت حالة من الذعر والرعب سكان البلدة حتى أن بعضهم لم يبت ليلته فى منازلهم، خوفا من تعرضهم لمذبحة جديدة. ثم أفاد محمد شمروخ محرر الأهرام فى نفس العدد أنه قبل مرور يومين على وقوع مذبحة بنى مزار البشعة.. كشفت أجهزة الأمن الغموض الذى أحاط بالجريمة، حيث توصلت لمعلومات تفيد بأن الجانى مختل عقليا، ومن أبناء القرية، وأنه ارتكب المذبحة بدوافع هستيرية، ومن المقرر . وكانت قرية شمس الدين بالمنيا قد فوجئت بتفاصيل المذبحة المروعة . شكلت تفاصيل الجريمة الدامية خيوطا متشابكة من الألغاز، حيرت الجميع حول الدافع وراء ارتكابها بالتزامن فى التوقيت بل وبنفس التفاصيل.و رجحت المعلومات الأولية أن يكون الانتقام هو الدافع وراء المذبحة، ولكن بوجود الأهرام على الأرض التى شهدت أحداث المجزرة كانت هناك تكهنات قوية سادت أجواء القرية فى أن يكون مرتكب المذبحة مريضا نفسيا أو مختلا عقليا وهذا ما أكدته المعلومات فيما بعد.

عزبة شمس الدين تبعد عن مدينة بنى مزار شمال مدينة المنيا، ما يقرب من خمسة كيلو مترات، لها نفس معالم القرية المصرية التقليدية حيث المنازل الريفية المتلاصقة، والشوارع الضيقة، والمزارع المترامية، أما عن

الشارع الذى شهد الفاجعة فهو يبدو واسعا نسبيا يسمى (داير الناحية) ويطلقون عليه أحيانا شارع الجسر. وبطبيعة الحال ليس للمنازل أرقام، وعند منتصف الشارع تقريبا يقع أول المنازل المنكوبة وهو منزل المزارع سيد محمود عبده، وهو مكون من طابقين ويتخذ شكل الطراز الريفى القديم، وداخله دارت أولى حلقات المذبحة، فقبل دقائق من الحادث كان يرقد صاحبه وبجواره زوجته صباح على عبد الوهاب وغير بعيد عنهما طفلهما أحمد٨ سنوات وفاطمة٧ سنوات، والوضع الذى عثر فيه على الجثث الأربع يشير إلى أن الجانى قد اغتال أرواحهم وهم نيام هكذا استطرد محرر الأهرام . ونترك منزلين وندخل المنزل الذى يليهما لنجد تفاصيل الجريمة الثانية التى راح ضحيتها المحامى الشاب طه عبدالحميد محمد٢٨ سنة ووالدته وفى الغالب كانا أيضا خالدين فى النوم وقت ارتكاب الحادث حتى أن بقع دمائهما تناثرت على الوسائد والأرض وتركها الجانى ليختتم جرائمه البشعة فى منزل غير بعيد عن المنزلين السابقين على الجانب الآخر من الشارع مستخدما نفس الأداة والأسلوب السابقين فى قتل صاحب المنزل وهو المدرس يحيى أحمد أبو بكر البالغ من العمر(٤٨ عاما) وزوجته بثينة على محمد(٣٥ سنة) وطفلتهما أسماء ذات العشرة أعوام وكذلك الطفل الرضيع محمود الذى لم يكمل شهوره الثلاثة كتم أنفاسه وذبحه بنفس الطريقة القتلى العشرة ذبحوا باستخدام السكاكين وكان أسلوب الذبح من الرقبة بجرح قطعى ممتد يبدأ من منتصف الرقبة ويمتد إلى أسفل الأذن. وبنفس الطريقة لكل الضحايا العشر، ثم انتزع الجانى الأعضاء التناسلية للقتلى حتى الأطفال. قام الجانى بذبح بعض من طيور الحمام وألقاها بجوار الجثث لتختلط دماؤها بدماء الضحايا. كان البحث أمام رجال المباحث لغز التوصل إلى دوافع الجريمة، فلم توجد وقتها أية دلائل تشير إلى تلك الدوافع، فلا هى للسرقة

ولا خلافات بين الضحايا وبين أى أحد، بل لا يوجد أى عامل مشترك بين المجنى عليهم سوى أنهم أبناء قرية واحدة وشارع واحد كما أكدت المصادر . وأكدت أنه كان معروفاً عند أهل القرية بالوداعة ولم توجد بينهم صراعات ثأرية من أى نوع، انتشرت الشائعات عن الكنز المفقود بالعزبة ،وكان الناس يتحدثون عن مشعوذ كان يزعم تحضير الجان وأنه يستطيع إخراج الكنوز من منازل الفلاحين وتردد على منازلهم بعد أن انتشرت بالعزبة ظاهرة البحث عن الكنوز الوهمية منذ فترة طويلة، يقال لأن المشعوذين كانوا يستخدمون الأطفال المذعورين فى طقوسهم الشيطانية كما يستخدمون الطيور المذبوحة فى إجراء أعمال الدجل والشعوذة،ولذلك تلاحقت جهود البحث فى جميع الاتجاهات لكشف أبعاد الجريمة.

أهالى عزبة شمس الدين"[1]"

(بعد أن شيع أهالى عزبة شمس الدين جثث الضحايا العشر..استمعت نيابة بنى مزار إلى أقوال كمال عبد الحميد الذى يعمل بمخبز بلدى بنفس العزبة، وشقيق المحامى طه عبد الحميد الذى لقى مصرعه ووالدته، قال إنه استيقظ من نومه كعادته فى ساعة مبكرة مع آذان الفجر للتوجه إلى عمله، وقد اعتاد أن يقوم بتقبيل يد والدته لحظة إيقاظها لصلاة الفجر ، فلاحظ له مصباح لمبة الصالة مطفأة ، وذلك على الرغم من أن أسرته اعتادت أن تكون الصالة بها إضاءة وما إن توجه إلى غرفة والدته لإيقاظها حتى وجدها غارقة فى دمائها فأسرع على الفور لإيقاظ شقيقه المحامى طه عبد الحميد من غرفة نومه ، حيث اعتاد أن ينام فى غرفة مستقلة فوجده جثة مسجاة على الكنبة وغارقاً فى بحر من الدماء، مما دفعه إلى الخروج من المنزل والاستغاثة بالجيران الذين تجمعوا لمشاهدة الحادث وعلت صراخات . كما استمع فريق المحققين إلى أقوال كل من الشقيقات الثلاث منى سيد محمود وزينب وأم هاشم أنهن سمعن صراخا بصدر من منزل مجاور لمنزلهن فهرعن للوقوف على أسبابه، قررت الفتيات الثلاث أنهن يقمن مع الأسرة المكونة من والدهم سيد محمود محمد عودة٥٠ سنة ووالدتهم صباح على عبد الوهاب، وشقيقيهما أحمد١٠ سنوات وفاطمة٨ سنوات إلا أن الفتيات الثلاث يقمن بالطابق الثانى بالمنزل فى الوقت الذى اعتاد الأب والأم والشقيقتان المبيت فى الطابق الأرضى وأضافت الفتيات الثلاث أنهن أثناء نزولهن فوجئن بجثث الأب والأم والشقيقتين وسط بركة من الدماء فهرعن

[1] صحيفة الأهرام - ١ يناير ٢٠٠٦

أمام المترل حيث تجمع الجيران، وأضافت الفتيات الثلاث أُهن لم يشاهدن أي شخص غريب بالمترل و لم يشعرن بأحد لحظة تنفيذ الحادث.

كانت الاحتمالات تشير إلى أن الجانى ربما كان مريضا نفسيا، أو مختلا عقليا، حيث انه نفذ جريمته بطريقه عشوائية وحشية وعبثية. وأكد مصدر أمنى وقتئذ أن فرق البحث تضع أمامها كل الاحتمالات والدوافع، ولكنها لم تتوصل إلى دافع للانتقام، أو الثأر، أو السرقة، بعد فحص جميع علاقات الضحايا. وأشار إلى أنه يجرى البحث عن بعض المرضى النفسيين، سواء من البلدة نفسها، أو القرى المجاورة، وأيضا شهود رؤيه، ربما يكونون قد شاهدوا الجانى.

ناقش د.محمد المهدى فى مقالة الذى نشر على النت تحت عنوان: (هل فعلها المجنون فى بنى مزار؟)، رأى د. المهدى أن أمر تسوية جريمة بنى مزار البشعة بات شيئا مطلوبا لطمأنة الناس وتهدئة النفوس واستمرار الحيرة والغموض ربما يؤديان إلى تداعيات خطرة خاصة إذا ذهبت الظنون فى اتجاهات العنف القبلى أو العشائرى أو العائلى أو الطائفى، هنا يصبح الأمر كارثة لأن حجم الغضب والانتقام سيكون متناسبا، بل ربما يكون متجاوزا ، لبشاعة الجريمة وما صاحبها من تقطيع وتمثيل بالجثث .

و رأى د.المهدى أن هذا قد يكون هو السبب فى التعجل بتقديم أحد المرضى بالفصام فى القرية على أنه الفاعل ، واعتبر أن هذا حل مريح لجميع الأطراف، فبالنسبة للسلطات الأمنية يخف عنها الضغط الفوقى المتسائل عن السبب والفاعل، ويخف أيضا ضغط الرأى العام القلق والمترقب فى هلع لأهل الضحايا فهم سيحتسبون الأمر عند الله ولا يفكرون فى القصاص حيث إن الفاعل مجنون وليس على المجنون حرج ، وبالنسبة لأسرة

المجنون فى رأى د. المهدى فقد حانت الفرصة أمام ابنهم لتلقى العلاج فى مستشفى نفسى كبير تحت رعاية السلطات المختصة ويخف ضغط مرضه عنهم ربما يكون د.المهدى صائباً فى هذا الأمر فى زمن تردى فيه العلاج النفسى الحقيقى للمرضى العقليين، ربما يواجهون بعض المشاكل من نظرة الناس إليهم على أنهم ذوى القاتل ولكن هذا يمكن أن يتلاشى مع الوقت فهم ليس لهم دخل فيما حدث(فى الحقيقة أن أهل المتهم تركوا القرية بما فيها وللأسف أن البعض استغلهم سياسياً من أجل الإدلاء بأقوال وتصريحات يصعب تصديقها) . وهذه بالطبع لم تكن وجهة نظر د. المهدى وحده وإنما آخرون أطباء نفسيون وخبراء أمنيون وعبرت وجهة النظر عن أن هناك دوافع قوية لدى الجميع (شعورية وغير شعورية) لإلصاق التهمة بشخص مجنون يحمل وزر ما حدث، ويقى الجميع شر تداعيات هذه الجريمة البشعة ،وفى النهاية لن يواجه هذا الشخص المريض عقوبة قاسية مثل الإعدام، وإنما سيحال إلى أحد المستشفيات العقلية للعلاج ، وهكذا يغلق هذا الملف مع أقل قدر من الخسائر ، أما الضحايا فهم فى ذمة الله يعوضهم ويعوض ذويهم عما حدث . (وهذا سرّ عدم تصديق الناس أن يكون الجانى هو محمد عبد اللطيف) وتسأل الدكتور المهدى هل يستطيع فعلا شخص مصاب بالفصام أن يقوم بهذا الفعل على الطريقة التى حدث بها وبهذا التخطيط المحكم وحده فى ثلاثة بيوت متفرقة وتجاه عشرة أشخاص لم يقاومه أحد منهم؟

ولقد أجبنا عن هذا السؤال تحديداً فى مقالى بالأهرام، ثم يستطرد الدكتور المهدى بأن الذى يتعامل مع حالات الفصام أو حالات الجنون بوجه عام يصعب عليه تصديق هذا الاحتمال أو قبوله بأى درجة من الطمأنينة أو اليقين ، فمريض الفصام لديه اضطراب تركيبى فى المخ ولديه اضطراب على مستوى الناقلات العصبية ، وهذه الاضطرابات تؤثر فى قدرته

على التخطيط والتنظيم المحكم ، وتؤثر أيضا فى إرادته ، وهذه التأثيرات تجعل لجريمة الفصامى خصائص معينة تتنافى مع ما هو قائم فى جريمة بنى مزار. إن هذا التفسير لا يستند على دليل علمى، لأن جرائم القتل المتسلسلة محلياً وعالمياً تؤكد عكس ذلك ولعل حوار الصحفى أيمن فاروق مع اللواء عدلى فايد مساعد وزير الداخلية لقطاع الأمن العام ،والذى كان رئيساً لفريق البحث فى قضية بنى مزاركان مفصلاً ويحمل التفسير الأمنى و الدليل البرهانى لحالات مماثلة"[2]" ،كما أكدت نفس وجهة النظر تقريباً أحمد خالد توفيق"[3]"، كما كتب صابر مشهور "[4]" ما معناه أن الفصامى قد يرتكب جريمة عنف انطلاقا من معتقد خاطئ فى عقله كشعور بالاضطهاد أو الظلم أو الخطر من أحد، والفصامى يمارس العنف بدم بارد نتيجة تدهور مشاعره، ولكنه مع هذا لا يملك هذه القدرة الفائقة للتخطيط والتنفيذ فى أكثر من مكان وأكثر من شخص دون أن يترك أثراً يدل عليه، بل الأكثر توقعا منه أن تكون جريمته اندفاعية عشوائية وغير منظمة، وتكون رد فعل مباشر أو شبه مباشر على استثارة أو استفزاز من أحد، وتكون موجهة — فى غالب الأحيان — لأشخاص لهم علاقة قريبة بالمريض كزوجته (إن اعتقد فيها الخيانة) أو أحد أقاربه (إن اعتقد أنه متآمر عليه) أو أحد زملائه القريبين (إن اعتقد أنه يخطط لإيذائه) ، أما أن يقوم بهذا الفعل المركب شديد التعقيد تجاه هذا العدد من الناس الذين لا تربطهم رابطة ففيهم رجال ونساء وأطفال صغار، فهذا ما يصعب تصديقه من الناحية العلمية والواقعية هكذا يقول د.محمد المهدى ولقد رددنا تفصيلاً على هذه النقطة فى مقالنا سيكولوجية

---

[2] صفحة الحوادث ـ الأهرام السبت ٤ فبراير ٢٠٠٦

[3] جريدة الدستور عدد ٢٠٠٦/١/٢٥ تحت عنوان (جريمة ـ بنى مزار ـ قد يكون محمد على الشاب المريض نفسياً هو الذى أرتكبها بمفرده ، و الأدلة موجودة).

[4] جريدة المصرى اليوم عدد ٢٠٠٦/١/٧ (و الأطباء النفسيون : الاختلال العقلى لا يعنى أنه فاقد الذكاء ـ عنابر المذنبين فى مستشفيات الأمراض العقلية مليئة بالقتلة).

القتل من ريا وسكينة إلى بنى مزار المنشورة فى الأهرام. وقد يقول قائل: إن عملية القتل بهذه القسوة والبشاعة وعمليات التقطيع والتمثيل، وقتل الحمام تشير إلى درجة عالية من القسوة المصحوبة بالبلادة الشعورية المصحوبة بالغرابة وكل ذلك يشير إلى فعل مجنون . وربما يكون شكل مسرح الجريمة هو الذى أوحى بفكرة أن يكون مجنون قد ارتكبها ، ولكن مع هذا فهناك احتمال أن يكون مرتكب الجريمة قد قصد هذا ليشتت انتباه المحققين ويضعهم فى حيرة، أو ليوجه أصابع الاتهام لوجهة معينة . أما بشاعة الجريمة وقسوتها فيمكن فهمها بدون افتراض جنون القائم بها ، فقد اعتدنا فى السنوات الأخيرة على صور بشعة للقتل من أشخاص ليسوا بمرضى نفسيين ومع هذا مارسوا العنف بوحشية لا يتحملها عامة الناس ، وربما يكون السبب فى ذلك كثرة التعرض لمشاهد العنف الدموية فى الفضائيات وعلى الإنترنت ، وفى الألعاب الإلكترونية ، حيث يقضى الشخص وقتا طويلا يشاهد العنف والدم والتقطيع أو يمارسه هو من خلال ألعاب الفيديو وربما يستمتع بمنظر الضحايا وهم يتساقطون تحت ضرباته ثم ينهى اللعبة وهو شديد السعادة بما حققه من قتل وإبادة ، ومع تكرار التعرض لهذه المشاهد تقل الحساسية تجاه القتل والدم والأشلاء، تقل الحساسية تجاه ما يعانيه الضحية . يضاف إلى ذلك الإحباطات الشديدة التى يعانيها كثير من الناس فتجعل نفوسهم مليئة بشحنات الغضب والقسوة والعدوان . (وأعتقد أن هذا الوصف الجميل للدكتور المهدى ينطبق على خيال وذهنية الفصامى أو من شابهوه من مصممى البرامج القاتلة الدموية أو مخرجى الأفلام الصعبة أو المجانين الذين لم تتح لهم فرصة أو رفاهية الفحص الطب النفسى)، كما أن هناك أشخاصاً لديهم ميول سادية (أى يستمتعون بعذاب الآخرين) دون أن يكونوا مرضى بالمعنى المعروف، وهناك شخصيات معادية للمجتمع

يمكنها أن تقتل بدم بارد لأى سبب من الأسباب ، وهناك من يحملون فى رءوسهم أفكارا انتقامية شديدة تؤهلهم لدرجات عالية من العنف والتدمير. أى أننا لسنا فى حاجة لافتراض الجنون فيمن يقوم بفعل مثل هذا، بل إن دقة التخطيط والتنفيذ بهذا الشكل تستبعد الجنون ، فالمجنون ليس حريصا على حياته بهذه الدرجة التى يتقن فيها كل ما يفعل حتى لا ينتبه إليه أحد، فهو يقتل اندفاعا دون حساب للعواقب، وهو لا يخطط بهذه الدقة لينجو من العقاب فليس لديه هذا القدر من الحذر والحرص على الحياة الذى يتميز به غير المرضى، هنا يجب التوقف عند نقطة أن التخطيط و التنفيذ يستبعد الجنون ولا أرى فى ذلك برهاناً وإنما أراه افتراضاً ورأياً.

الجرافيك الاجتماعى والنفسى لحادث "عزبة شمس الدين"[٥]

مما لا شك فيه أن حادث عزبة شمس الدين (بنى مزار المنيا) بقدر ما أثار جدلاً شديداً من باب الشعور بعدم التصديق الكلى و الكامل أو الإنكار DENIAL وتفضيل إحالة الموضوع ، (الجريمة الشنعاء) ، إزاحته إلى منطقة السرقة ، الآثار ، الخزعبلات و ما إليه لكن ها هنا من واقع الاعتراف (سيد الأدلة)، ومن واقع الشكل الديموجرافى (الجغرافيا و السكان) و(السياسى النفسى و الاجتماعى ــ السوسيو جيوبولتيك Socio -Geopolitical) ، الحلم بالوصول إلى خط الفقر ــ (المصرى اليوم الأربعاء ٢٠٠٤/٦/٤) فى القرية ٨ آلاف نسمة بينهم ١٠٠ألف موظف فقط الجانى (حاصل على الإعدادية) تاريخه المرضى العقلى (شخص على أنه يعانى من فصام العقل ــ شيزوفرينيا Schizophrenia مصحوبا بهوس وسواسى و فكرة تسلطية) طريقة ارتكابه للجريمة المتسلسلة (قتله للرجال بالساطور أولاً ثم ذبحهم من منتصف الرقبة إلى الأذن ثم بتر القضيب ودفنه أو وضعه فوق السطح ثم ذبحه للحمام حينما رفرف ، ثم خروجه ودخوله من بيت إلى بيت من السلم الخلفى فى هدوء و برود القاتل المهووس الشديد المرض"[٦].

يطرح كل ذلك أسئلة لابد من الإجابة عليها حرصاً على مستقبل الناس وصحتهم فى مصر بدءاً من هل هناك حصر حقيقى للمرض العقليين

---

5 جريدة المصري اليوم - المؤلف - ٧ يناير ٢٠٠٦
[6] الأهرام ٢٠٠٦/١/٤

فى مصر ؟ هل هناك رعاية ومتابعة لهم أم لا ؟! هل هناك نظام التمريض المجتمعى الذى يذهب إلى الناس فى بيوتهم، يتابع أحوالهم، يعطى المريض حقنته الوقائية الشهرية و يعلم أهله و أهل عزبته علامات الانتكاسة و الخطر. ويرشد على علامات التوقف عن تناول الدواء وخطورتها الشديدة (مثلما حدث ذلك؟) فى حادث بنى مزار الشديد الدموية حيث امتنع المريض عن تناول الدواء لمدة ثلاثة أسابيع قبل ارتكاب الحادث"[٧]".

أولاً هذا القتل الفريد من نوعه، و كأنه جاء تراكما وتتابعاً وتسلسلاً لما قبله (بدءاً من المرأة والساطور، إلى تلك التى حمدت زوجها ورقصت مع عشيقها فوق جثته ثم مارسا الجنس وبعدها صلىّ القاتل فى دار السلام، على الذى مزق جسد عروسته إلى نصفين بعد حوالى ثلاثة أسابيع من الزفاف، إلى الممرضة التى خدرت زوجها وشرحته بشفرة الحلاقة إلى نصفين، تخلصت من نصف وتركت نصفه الآخر فى البانيو، و قبل ذلك بعامين ذلك الذى قتل أم صديقة المدمن ليسرقها و يشترى بالمال ما يخدره ويذهب بما تبقى من وعيه، وتلك فى (محافظة البحيرة) التى طعنت زوجها مدمن الجنس و الفياجرا حتى الموت، إلى قاتل بناته الخمس فى سوهاج، وقاتل عائلته بأكملها فى البساتين، إلى تلك التى سلقت لحم زوجها بعد ذبحه ...) وانتهاء بفظاظة العيش وتداخل كل موبقات المجتمع، إلى الذهن المريض المعتل فى تصورات انتقامية، ولعل الاجتهاد الذى يتبادر إلى الذهن هو أن هذا الشاب (العاطل) يحسد كل هؤلاء (العَشرَة) على حياتهم وعلى رضاهم بالمقسوم. حَسدَ الرجال على أنهم متزوجون وعلى استخدام أعضائهم التناسلية وكذلك النساء أفسد أعضاءهن عقاباً لهن، و حتى ذبحه

---

[7] نفس المصدر السابق

للحمام ربما جاء اعتراضاً على رفرفته، وعلى حياته، فلا يحق له أن يحيا ويرفرف على موتى أحياء.

أين هو هذا القاتل أياًّ كان ذلك الذى اعترف أو غيره (لأن الثقافة المصرية ترفض الأدلة وسهولة الاصطياد والاعتراف وتؤمن وتتلذذ بتعقد الجريمة وتشابكها على طريقة أجاثا كريستى)، ولأن هناك اعتقاداً بأن الداخلية قد أمرت رجالها بسرعة للتحرى والقبض مما أشعر الناس بروح الفبركة، إن هذا القتل الجديد، غير العادى، المتعمد مع سبق الإصرار، لا ينفك بعيداً عن ثقافتنا الحالية المشوشة الفسيفسائية (متعددة الألوان و الأشكال) الفاقدة الهوية ، المائعة الهدف و المعتمة الرؤية ؟ ! ثقافة مجتمعية مشطورة متداخلة متشابكة مع التعدد و التشتت ، المزج و الخلط بين القنوات الإباحية ، الفضائيات المفتوحة ، الأغانى الهابطة ، الصحف الفارغة ، الإخباريات المدمنة لمشاهد العنف و لروح التآمر و عذاب القبور و مآسى المؤامرة، فأصبحنا كمجتمع الآن (٢٠٠٦) وكأننا نُجرى لحظياً جراحة ترقيعية لإضافة أجزاء صناعية إلى بنية المجتمع (و لعل الرمز المقابل هنا هو بتر القاتل لأعضاء الرجال والحفاظ عليها و إذا كانت أرضية البيت من تراب فيرميها على السطح ؟!) ، وكان ذلك الكابوس الذى حدث فى عزبة شمس الدين نوعاً من التكيف المباشر و المروع لعنف وشظف الحياة اليومية، وكأنه رغم الخوف و الرعب و الهلع نوعا من الإدمان على العنف ، ربما يسدّ الرمق و يطفئ الظمأ فى مجتمع مصر الحديثة، بمعنى ظهور ما يمكن تسميته بـ (المجال المريض ، المنطقة الموبوءة) فى المجتمع ، انبثاقها تطورها حتى آل الأمر إلى ما آل إليه فى بنى مزار، هناك حميمية بين صفحات الصحف فى مصر ــ مثلاً ــ و جموع الناس الفقيرة فى عزبة شمس الدين (البطالة حوالى

٨٥%"[٨]"، وكأن بعض الناس موجودون فى هذا القاتل، والبعض الآخر هو تلك الأسر و أفرادها الضحايا العشر ، لنا هنا أن نسأل أسئلة بدائية جداً ، ربما ننعطف عن إجابتها قليلاً أو ننفرج كثيراً لاستيضاح الأمر ؟! ....

ما الذى كوّن هذا القتل و هذا القاتل ؟ و لماذا و هكذا وكيف أصبح ؟! كيف ولد وتربى وتعلم و نشأ ، وهل كان على دراية بالعنف الدينى و عنف الانتخابات البرلمانية القاتل ٢٠٠٥ مثلاً ؟! إن الإجابة على كل تلك الأسئلة ليست سهلة على الإطلاق حتى مع الاعتراف ووجود الأعضاء التناسلية المبتورة . إن القاتل المتسلسل (بمعنى أى قاتل سواء كان يعانى من الفصام أم لا) لديه ذلك الدافع القهرى التسلطى للعنف ، وكأنه يتمزق بين قطبى (الجهل و الفقر و المرض) و (الجنون ـــ بكل لوعته و مأساته و جحيمه) ، إن التعريف الجنائى ، الطبى النفسى للقاتل المتسلسل يكاد ينحصر فى مصطلح (تعريف الحدث) Naming Event ، تبدو هنا المسألة مركبة للغاية : كيف ؟ بالفعل ـــ يمكننا تعريف حدث عزبة شمس الدين ببنى مزار المنيا فى مصر ٢٠٠٦ ؟ المسألة أعقد من تفسير بسيط للداخلية ، أو للمستشفى العقلى لأن المصطلح و المفهوم لا (يقنن ولا يصنع)، لأن إطلاق الأحكام على عواهنها يضع على أعناقنا كلنا طوقاً حديدياً ، فكأننا ننظر إلى شخص واحد (قاتل ، سفاح ، مجنون، مخبول) نسكب فيه كل سوءاتنا و عيوبنا النفسية ، الاقتصادية ، السياسية ، التعليمية ، الدولية ، والاجتماعية ، كل أفعالنا المشينة ، تجاوزاتنا ، حماقاتنا ، خيالاتنا المعلنة و المكتومة الدفينة و المريضة ، كل نواحى قصورنا فى حق أنفسنا كأفراد و كجماعة ، كدول وكمؤسسات ، كصحة و مرض ، كأسرة و

---

8 - الأهرام الأحد ٢٠٠٦/١١

أرض و غذاء وهواء و كساء و لحم و دم و أعصاب و يبدو الأمر هنا كدورة فارغة من الممكن ببساطة ربطها بحريق قطار الصعيد و حريق مسرح بنى سويف و كل منهما على بعد كيلومترات من عزبة شمس الدين ..نعم . هذا القاتل يرقد فى بطن المجتمع الرخوة ، يشير بأصبعه أو بساطوره أو بسكينه ليبتر و يقطع و يشوه الأحلام و الحمام والرُّضّع ... إنه خارق مخترق للبناء الاجتماعى المعطوب (مجتمع ملىء بمنظمات حقوق الإنسان و هيئات نسويه و منظمات دولية و غيرها)، ولا أحد يهتم بظاهرة العنف المتنامى تغرقنا البرامج الهوائية والأرضية والصحف السيارة ، تغرقنا بسيل من الانطباعات وجنرالات العلوم الوصفية وكأنهم يرسمون لوحة (اسكتش) للشيطان ، و هم كلهم و نحن كأننا الملائكة نحاول أن نداوى بالبلسم الشافى الجروح الغائرة،ترى هل نخاف و نرتعد و نوصد أبوابنا خشية أن يكون الجار (فصامياً نادراً سفاحاً) ينتظرنا . أم نترل على السلالم خوفاً من لقائه فى الأسانسير، أو خوفاً من أن يصبح أحدنا ، أم نناقش تركيبة الوزارة الجديدة (هل ننتظر الزبد من خض الماء) ،هل لوزير الصحة الجديد أن يخبرنا عن مشروع تطوير الصحة النفسية فى مصر الذى تدعمه فنلندا منذ عام ٢٠٠٠ ؟ ،هل هناك مسح صحى إحصائى للمرضى النفسيين فى مصر؟ ، هل هناك ميزانية حقيقية للدواء النفسى الذى أصبحت أسعاره أغلى من اللحمة بمراحل؟ هل الحال بمستشفياتنا العقلية (تمام) هل هناك مواكبة للعلاج الحديث (مجتمعياً ومن خلال الفضفضة العلاجية المهمة والمهملة)، هل هناك مثلاً (حملة قومية ضد الاكتئاب)، هل هناك دراسات تربط بين الواقع بكل مرارته و اضطرابه و تشاؤمه و بين ظهور العنف بهذا الشكل أما أنها فقط واصفة محللة ؟ ، هل هناك بحوث لدراسة المرض العقلى بهذا الشكل ، اختلافاً و تنوعاً ، هل يمكن أن تصبح الأمور أفضل و لا نرى

رجلاً عارياً فى وسط الطريق العام مغطى بالوساخات و كل أنواع الفضلات الآدمية لأنه (كان ينظف بالوعة المجارى) نعم — فى القاهرة فى ٢٠٠٦ و هو يعتبر موظف عام فى عصر القرية الذكية ، و الحكومة الذكية ، و ثورة الاتصالات و سهرات رأس السنة التى تفوق كل وصف و كل حَدّ .

إن كل هذا العنف فى عموم مصر ما هو إلاّ عرض و انعكاس للأزمات الاجتماعية ممتزجة بكيمياء المخ العصبية فى حيرتها و نزوعها إلى التعكير الشديد ، هل لنا أن ندرك و أن نعلم يقيناً أن البيئة المحيطة بكل سلبياتها و توحشها تؤثر على كيمياء المخ العصبية فتولد الجنون و الحماقة و القتل و الاغتصاب لدى أفراد ليس لديهم أى استعداد وراثى و لا شخصى . بمعنى انبثاق شريحة جديدة من الناس يتكوّن فيها الخطر و الظلم و الحرمان، هل نملك شبكة من (المعرفة و القوة) تمكننا من الرصد ، والعلاج و الوقاية ممن يستمتعون بإراقة الدماء و بالرشوة و الفساد كذلك ، إن ذلك التوتر المجتمعى الذى نعانى منه الآن شديد جداً ونحن نزحف بالفعل على أرض ثلجية ، ببطن رخوة و عضلات واهنة !! وهم هناك فى مصر الأخرى يحتفلون بافتتاح فيلم (رعب) باسم (أجنبى) وسط القاهرة ،اندفع شاب شاذ نفسياً جنسياً وسط الجمهرة إلى ممثلة فاتنة ودسّ فيها فى موطن عفتها أصابعه مما أحدث نوبة من الفزع . هل هذا الشخص (رغم أنه ضرب بالشبشب) مختلف عن قاتل بنى مزار وهل هو مختلف عن سائق أتوبيس النقل العام الذى تمهل ثم توقف وسط الطريق العام ليبصبص هو والكمسارى و الركاب وليحملقونا فى غادة حسناء تتمشى مع كلبها على الرصيف المقابل؟!، أم أن السلوك واحد ، أم هو مشروع السفاح الجنسى يغتال الحسناوات بأصابعه أو بساطوره ؟! ترى كم قنبلة موقوتة و كم لغم مدفون و كم مشروع لألم

وحزن وانقباض و تشاؤم ؟ لا نريد أن نعد و لكن نريد أن نرصد وأن نعالج
وأن نقاوم و أن نخطط للوقاية. ما أمكن ذلك ...

سيكولوجية القتل و القاتل
بين ريَّا وسكينة و بنى مزار"[9]"

(كان شعرها أحمر، وثوبها رمادياً دون أكمام . كان ذراعاها بيضاوين ويداها مصفرتين من عصير البرقوق . وقف غرنوى منحنياً فوقها ممتصاً بأنفه شذاها الذى أصبح الآن نقياً لا شائبة فيه، شذاها المتصاعد من عنقها وشعرها وفتحة ثوبها، تاركاً إياه لينساب إلى داخله كهبة ريح رقيقة. لم يشعر بمثل هذه المتعة من قبل أبداً. أما الفتاة فقد سرت القشعريرة فى جسمها، لم تره بعينيها، لكن إحساساً بالرعب انتابها، واجتاحها زمهرير غريب، كذلك الذى يشعر به الانسان حالماً يعاوده رعب قديم منسى.

أحست بتيار بارد يسرى فى ظهرها وكأن أحدهم قد فجأة باب قبو هائل بارد وضعت سكين المطبخ على الطاولة، ضمت ذراعيها إلى صدرها والتفتت.

تجمدت من الذعر عندما رأته وهو يمد يديه بهدوء ليحيط عنقها.

لم تحاول أن تصرخ أو أن تتحرك أو حتى أن تقاوم. أما هو فإنه لم ينظر اليها.

لم ير وجهها الناعم الموشى بالنمش، ولا شفتيها الحمراوين، ولا عينيها الخضراوين الواسعين المتلألئتين، فقد أغلق عينيه باصرار وهوة يخنقها، اذ لم يكن ثمة ما يقلقه سوى فقدان ولو ذرة واحدة من شذاها.

---

9 الأهرام - المؤلف، ٢١ يناير ٢٠٠٦

عندما ماتت وضع جسدها على الأرض وسط بذور البرقوق ثم مزق ثوبها، فاندفع تيار الرائحة ليجتاحه بشذاه. هجم بوجهه على بشرتها وأخذ يحركه بمنخريه المفتوحين عن آخرهما متنقلاً من البطن إلى الصدر، صاعداً حول الوجه، متغلغلاً فى الشعر، عائداً إلى البطن، هابطاً إلى فرجها ففخذيها، إلى ساقيها البيضاوين. تشممها من رأسها حتى قدميها، جامعاً آخر ما تبقى من عبقها عند الذقن والسرة وطية الساعد.

عندما انتهى من تشممها حتى الثمالة بقى لبرهة يدور حولها محاولاً استعادة ذاته المستغرقة فيها كلياً. لم يبغ أن يضيع منه شيء من عبقها، ولذا كان عليه اولاً أن يغلق مزاليجه الداخلية بإحكام. ثم نهض ونفخ الشمعة فأطفأها. (بتصرف عن رواية ـــ العطر لزوسكيند.)

بعيداً عن الأدب ، وقريباً من الواقع ، حَدَث ما يحدث و سيحدث وسط ذهول الناس وعدم تصديقهم أن المقبوض عليه هو المتهم الجانى فى مذبحة بنى مزار . ما معنى (الهاتف) الذى قاده إلى ثلاثة بيوت غير متلاصقة فى شارع واحد ؟! وكأنها تلك اللحظة الغريبة ، وذلك الاندفاع الغامضه الذى حركته بشكل هندسى جراحى منمق ، وكأنه الجزار يفصل الذبيحة ، أو الترزى يجرح القماش ، فبدا كما لو كانت هناك قوى خفية تحركه (قوة خفية مرضية عقلية بحتة لها كيمياء الضلالات العنيفة وقوتها) ، لينهى عمليته الشنعاء بكثير من الدماء و الضحايا دون أدنى دافع أو إحساس بالذنب .

السؤال الآن ؟! لماذا عدم التصديق عند معظم الناس ؟ وهل صدّق الناس ـــ زمان ـــ أن امرأتين(ريّا و سكينة) تفعلان ما فعلتاه ؟! ... لنتأمل سوياً ذلك الوصف الرائع لصلاح عيسى (ولو أن أحداً من هؤلاء، أو أولئك

قد قام بواجبه، لتخلقت أمامنا صورة حية، لابنتى "على همام" منذ كانت كل منهما نطفة، ثم مضغة، ثم علقة، ثم اكتست عظاماً ولحماً، ثم خرجت إلى الوجود طفلة بلا ملامح أو ذاكرة، تبكى وتضحك، وتلهو، وتخاف من الظلمة، تلقم ثدى الأم وتلوذ بأحضانها، وتحبو فى باحة الداربين صغار الدجاج والأوز، وتكتشف الحياة من حولها بمرح ودهشة، وتتعثر على لسانها الكلمات). ويستطرد صلاح عيسى التتابع التاريخى الاجتماعى قائلاً: (وما تكاد تدرك الدنيا من حولها حتى تنتهى طفولتها فجأة فتستيقظ عند الفجر، لتشعل الفرن، وتكنس الدار، وتحلب المواشي، وتقدم الطعام للدجاج والبط، وتسحب الجاموسة إلى الحقل، وتستحثها على إدارة الساقية وتعود عند الظهر لتحمل الطعام إلى أبيها، فإذا ما جاء الغروب سرحت وراء المواشي، تتلقى روثها بين كفيها. لتعجنه بشيء من التبن وبكسر من الحطب ثم تنشره فى الشمس ليجف فيصبح وقوداً. إلى أن يأتيها "عدلها" فتخضب كفيها وقدميها بالحناء. وتبيض وجهها بشيئ من دقيق القمح، وتكحل عينيها وتصبغ شفتيها. وتغنى لها الصبايا فى ليلة الحنة، ثم تشيعها الزغاريد فى ليلة الدخلة، إلى بيت زوجها، ومعها صندوق أحمر، تضع فيه ــ ككل عروس ــ حاجياتها، فإذا مافتحت عينيها فى "يوم الصباحية" عادت لتدور ــ كالنحلة ــ طول اليوم، وطوال السنة، وطوال الدهر. لا يقعدها برد أو مرض أو ألم).

إن غرابة حادث بنى مزار وترتيبه جاء جديداً على المجتمع المصرى ، لكننا نسينا تغيرنا وتبدلنا وتطورنا عبر السنوات، ومن هنا فربما كان النشوء و الارتقاء فى نوعية الحدث. ثانياً: عدم ثقة الناس فى الحكومة فى أى أمر (ولهم أسبابهم) وإيمانهم العميق بأنها تسعى دائماً إلى التلفيق (وهنا تظهر كوكبة من المشككين والمتشككين فى أى شىء و كل شيئ)، ثالثاً: فكرة

القصاص، فإذا كان الجانى فصامياً فلسوف يودع بالمستشفى للعلاج مدى الحياة، بمعنى أنه لن يُعدم، و بالتالى فلن يشفى غليل أحد، و ستظل المرارة فى الحلق، و الرغبة المشتعلة فى الثأر قائمة. رابعاً: الخوف من بكره، من احتمالات تكرار ما حدث أو توقعه فى أى مكان ، خامساً : عدم التصديق من باب الإنكار (معقولة ..ده يحصل لنا وعندنا ؟!) سادساً : عدم فهم معنى مرض الفصام العقلى (الشيزوفرينيا) ، و الوقوع فى فخ الخطأ و الإصرار فى كل أجهزة الإعلام على أن الرجل ذو (شخصيتين) (انفصام فى الشخصية) البعيد تماماً عن (الشيزوفرينيا SCHIZOPHRENIA) المصطلح الذى ابتدعه بلويلر ١٩١١ حيث إن SCHIZO تعنى التشقق و التصدع ، الانغلاق أو الانفصام ، و PHRENIA تعنى العقل أو الذهنية (وليس الشخصية) ، ويشمل الاضطرابات التفكك بين عمليات العقل و العمليات الوجدانية حيث ينفرط عقد نظامها إلى حَدّ كبير ، ومن ثم يحدث التفكك التنظيمى فى بنية الإنسان (سلوكه ، تفكيره ، وجدانه ، ونفسه)، ومن هنا يمكن تفسير (الخلل) ومن أعراضه الهلوسات والضلالات (المعتقدات الراسخة الخاطئة التى لا تقبل الشك من صاحبها و التى هى بمعزل تماماً عن الواقع ولا يمكن تفسيرها فى إطاره) ، وكأن المتهم الجانى كان سعيداً لدى عودته إلى بيته بعد القيام بمهمته المزدوجة كمنتقم من الحياة و الأحياء أياً كانوا ، وكخالق لحالة الموت ، فيبدو وكأنه الأسطورى الذى تخلص من عشرة بضربات الساطور ذبحاً بالسكين ثم قطعاً وتخريباً لأعضائهم التناسلية ، ثم (احتفلت) به أجهزة الإعلام ، وتتويجه على عرش الأخبار الأخرى فجأة ، فصار حديث المدينة .

سابعاً: الجهل بأنواع القتل ، أو عدم القدرة على التمييز بينها ، فهناك فرق واضح بين (قاتل ذكرى المنتحر) فى دراما الزمالك الشهيرة

السريعة ، وبين السارق الذى يكتشف أمره فيطعن مرة واحدة بالمطواة فى سويداء القلب ويهرب ، وبين المستفز الغاضب لمن ضايقه، كسر عليه ، سبّه بأمه فنال منه فى رقبته مثلاً أو هشم رأسه فأرداه قتيلاً ، وهناك قاتل الثأر و الشرف ، ولا ننسى أن عنابر المذنبين فى مستشفيات الأمراض العقلية مليئة بالقتلة .

السؤال الذى يسأله الناس الآن ! كيف برجل هادئ لا تبدو عليه علامات الخبل أو الإجرام أن يأتى بفعلة دموية كهذه ؟! إنها فى المذنبين فى مستشفيات الأمراض العقلية مليئة بالقتلة السؤال الخبل أو الإجرام أن يأتى بفعلة دموية كهذه ؟! إنها فى تفسيرها العلمى مزج بين (العملية الفصامية) و (غضبه المكتوم) ، بجانب أن معظم تلك الحالات يكون فيها القاتل (منقوعاً) محقوناً محتقناً بالكراهية و مربوط من (ساسه لراسه) بحبل ملىء بالعقد المتوترة و القلقة ، ومع هذا فإن غالبية مرضى الفصام ليسوا عنيفين ، إنها تلك الروح غير المستقرة ، الإحساس العام بالتصدع القادم ، الرهبة من زلزال النفس وعنفها ، ترقب لحظة الانهيار الكامل ، ثم الراحة الصافية المنشودة ، التوق إلى الانعتاق من عالمه الجوانى الجهنمى . هنا لابد وأن نفهم تلك الرغبات الدفينة المحمومة لقتل الآخر (وغير المرتبطة إطلاقاً بأى منظومة ضلالات) ، وأحياناً ما تكون مصحوبة ببعض الاستبصار، وكأنه هجوم (الجنون) لا هجوم (المجنون) على الأبرياء وهم فى سباتهم العميق ، وعلى الرغم من ضرورة التفرقة بين (القاتل المجرم) و (القاتل الفصامى) ، فلابد وأن ندرك أن الفصامى ليس معصوماً من انفعالات الغضب و الغيرة و الثأر و الشرف ، والأخرى التى تدفع إلى القتل.

غالباً ما يقتل الفصامى أهله وعشيرته و أبناء قريته ، فى حين أن القاتل المكتئب يقتل أولاده .

أخيراً فإن المنظومة الجنسية للفصامى ـــ بشكل عام ـــ مضطربة ، وتبين إحدى الدراسات المهمة أن ٢٧% من الفصاميين يعانون من ضلالات وهلاوس جنسية بل إن بعضها ينحصر فيما يسمى بالضلالات والهلاوس التناسلية GENITAL HALLUCINTIONS & DELUSION.

وفى عودة متقاطعة إلى ريّا وسكينة كان هذا الوصف البديع فى كتابه العميق"[١٠]" (ولو أن أحداً من دارسى موجات الهجرة الداخلية، كان قد اهتم- قبل ذاك أو آنذاك- بـــ"تغريبة بنى همام" لعرفنا متى.. ولماذا غادرت "ريا" وسكينة" مسقط رأسيهما فى "الكلح" فى أقصى الجنوب بالقرب من "أسوان"، حيث الفقر والجدب والوباء ونقص القوت- ولتتبعنا خط سيرهما الطويل، بين القرى والعزب والكفور، والمدن الصغيرة المتناثرة على شاطىء النيل، تحليان ضرع الأيام.

وتبحثان عن لقمة تدفعان بها غائلة الجوع أو لحظة راحة يستتيم فيها ظهر كل منهما لحشية ناعمة، تكف بعدها سلسلة ظهرها عن ذلك التضاغط المؤلم، إلى أن تحط بهما التغريبة- دون إرادة منهما- فى "الإسكندرية"، حيث البحر والنسيم وأضواء الكهرباء والشوارع الواسعة النظيفة، والخبز الطرى، والطعمية الساخنة وعلب "البولوبيف" و "السردين"و "الحلاوة الطحينية"، وجحافل الأجانب من الإنجليز والفرنسيين والإيطاليين واليونانيين.

---

10 صلاح عيسى ـ رجال ريّا وسكينة ـ دار الأحمدى للنشر ـ القاهرة ـ ٢٠٠٢

فلا يزيد نصيبهما من المدينة الجميلة عن المقدر لهما منذ الأزل: حجرات مظلمة ضيقة فى حوار وأزقة أكثر ضيقاً، تتلوى على نفسها كالثعابين، وتفرح منها نسائم الفقر وروائح العفونة تضيئها مصابيح من الصفيح الصدىء تشعل بالنفط. ويتروى فى ركن كل منها "زير" من الفخار يملأه السقاء بقربة ماء كل يومين أو ثلاثة. وتحتشد بالآف من الجنوبيين من أمثالهما. قذفت بهم يد الله فى التجربة، وحملتهم التغريبة من قرى الصعيد المعلقة فى بطن الجبل، أو جزائره المتناثرة فى قلب النيل، إلى الإسكندرية، هرباً من ثأر أو فراراً من جوع، أو أملاً فى الاستمتاع بشىء من لين الحياة.. فتاهتا فى المدينة الواسعة، وطاردهما التغريبة فى أزقتها الطينية الضيقة، واضطربتا طول سبع سنوات مريرة. بين "المسكوبية" و "سوق الجمعة" و "زاوية العطش" وحين يحط بهما الرحال- أخيراً- فى "حارة النجاة" تجدان المقدر والمكتوب فى انتظارهما. وينفجر اسماها- كالقنبلة- فى سماوات الوطن. وتقودهما صدفة تعيسة إلى حبل المشنقة. وينتهى الحلم بلين الحياة. إلى موت بلالين.

أما الناشر المجهول، الذى استغل اهتمام الناس الفائق عن الحد. بمعرفة صورتيهما. فطبع عشرات الآلاف منها.

تخاطفها الناس فى أيام قليلة. وربح من توزيعها مئات الجنيهات. فقد اكتفى بذكر اسم كل منهما تحت صورتها باللغتين العربية والافرنكية، ولم يضف إلى ذلك شيئاً. ربما لكى لا يصادر على حق الناس فى أن يتخيلوهما كما أردوا: مجرد وحوش هربت من الغابة، وظلت تعيث فى الدنيا فساداً، إلى أن وقعت فى المصيدة.

ومع أن الصحف"[11]" التي عاصرت بروز أسمي "ريَّا وسكينة" لم تقصر في إشباع فضول المصريين لمعرفة أبنائهما بل وخصصت كل منها زاوية يومية ثابتة في مكان بارز لتلك الأبناء على امتداد شهرين كاملين، إلا أنها لم تقصر- كذلك- في نشر كثير من الوقائع المغلوطة أو الناقصة أو المختلفة. ذلك أن إحساساً عميقاً بالعار، مما ارتكبته "ريا"و"سكينة" كان يغلل روايتها للوقائع، إذ بدا لها أنهما شاهدتان على نقص الرقى الاجتماعى للمصريين، وأن صدقها في رواية الوقائع ربما يستغل للتدليل على عدم كفاءتهم لحكم أنفسهم بأنفسهم، وكانت المناظرة بين الوطنيين المصريين المطالبين بإلغاء الحماية البريطانية على بلادهم، وبين غلاة المستعمرين تدور آنذاك، حول هذا الموضوع تحديداً.

وهكذا تواطأ الجميع بالصمت أو بالجهل أو بسبب الإحساس العميق بالعار، على تحويل "ريا"و"سكينة" إلى رمز أسطورى للشر. لاصلة له بدوافع مافعلتاه، وأغمضوا عيونهم عن كل ما عدا ذلك، فقد كانوا في حاجة إلى رمز للشيطان فوجدوه، وإلى صورة تجسد الشر المطلق الطليق فطبعوا عشرات الآلاف من صورتيهما وأخذوا يتبادلونها وينسجون حولهما قصصاً وأساطير مرعبة، جعلتهما في النهاية، قرينتين لتلك الشخصيات المرعبة، التي طار صيتها في زمانها وظل طائراً إلى أن أدرك زماننا، مثل أمنا الغولة"وفرانكشتين"و"دراكيولا".

وربما لهذه الأسباب كلها، دخلت الاثنتان التاريخ، دون أسانيد- أو تفاصيل – كافية، فلا شجرة أسرة، ولا شهادة ميلاد، ولا تاريخاً اجتماعياً، ولا تقريراً من قصاص أثر، حول ما فعلتا أثناء التغريبة أو ما فعلت

---

11 صلاح عيسى - نفس المصدر السابق

بهما التغريبة، فاستباحهما الجميع، واتخذوا منهما رمزاً لما يريدون، وليس لما كانا يرمزان إليه بالفعل: الآباء الذين يريدون تخويف أبنائهم من النوم دون غسيل الأسنان، والأمهات اللواتى تردن إخافة بناتهم من شر الكك، ومؤلفو الأفلام السينمائية والمسرحيات الهزلية، الذين يربحون من وراء تسلية جمهورهم بشىء من مغامرات الشرطة فى مطاردة المجرمين، أو من محاولة دغدغتهم بشىء من كوميديا الرعب، فيضحكون على أنفسهم وعلى الآخرين مع أن الذى يستحق الضحك منه، هو مؤلفو تلك الأفلام والمسرحيات)"[١٢].

لكن ... تُرى هل يمكن محاسبة (المجنون) على جريمته ؟! نعم ! أحياناً ، حينما يكون ثابتاً ومؤكداً أنه فى كامل وعيه أو بدافع محدد مثل السرقة أو الانتقام وليس تحت تأثير الضلالات أو الهلوسات . وبالطبع فإن إثبات كل هذا من عدمه مسألة شاقة جداً ، وقد تكون "مستحيلة" تحتاج إلى "رصد اللحظة" ، أو إلى منظار يرى المخ فى عملياته الذهنية الشاقة . يحتاج الناس الذين عاشوا المأساة فى بنى مزار، و لربما كان برنامج لعلاج جمعى لتوتر و كرب ما بعد الصدمة لازماً ، نحتاج إلى تحديد دقيق لمسألة الخطورة و الخطرين ، الأمن و الأمان فإذا كان الخفير فى عزبة شمس الدين قد مات منذ سبع سنوات، فلماذا لم يعين غيره ، فبصرف النظر عن أن صحبته (مين هناك) قادر على ردع فصامى عن القتل أم لا فهى كانت مريحة وباعثة لبعض الهدوء، نحتاج إلى مسح للحالة العقلية فى عموم مصر.

12 صلاح عيسى ـ نفس المصدر السابق

التقرير النهائى

تحت عنوان : التقرير النهائى: المتهم بارتكاب مذبحة بنى مزار سليم عقلياً،"١٣": أكدت التقارير الطبية التى أعدتها اللجنة المشكلة من كبار أساتذة الطب النفسى، عدم إصابة محمد على عبد اللطيف المتهم بارتكاب مذبحة بنى مزار بالمنيا، وقتل عشرة أفراد من ثلاث عائلات مختلفة أوائل يناير الماضى بأى مرض عقلى.

وكانت اللجنة التى قامت بالكشف على المتهم قد أنتهت إلى أنها تأكد طوال فترة الملاحظة ثبوت عدم إصابته بمرض عقلى.

أشارت مصادر بالنيابة العامة، إلى أن اللجنة الطبية أوضحت أن المتهم، مهتم بمظهره العام ونظافته الشخصية ومتعاون يجيب عن الأسئلة بصورة عادية وهادئ ولم تظهر عليه تصرفات تدل على وجود هلاوس سمعية أو بصرية أو تشوش فكرى.

وذكرت اللجنة الطبية فى تقريرها، أن تعرض المتهم لنوبات عصبية وهياج فى بعض الأحوال، يرجع للاستثارة والانفعال العاطفى، خاصة عندما يتذكر أحوال والديه وأخواته ونتيجة إحساسه بالوحدة والغربة حيث تعتبر كل تلك الملاحظات طبيعية، يمكن حدوثها فى مثل هذه الظروف.

ويبدو هذا التقرير مهماً وواقعاً تحت تأثير الضغط الإعلامى المكثف ، مما يسمى علمياً بالـ Halo Effect بمعنى أنه الذى يفحص (شخصاً ما) (مريضاً أو متهماً) وتكون لدية فكرة مسبقة عنه وعن الحادث من

13 عبد الناصر الزهيرى ووكالات الأنباء (المصرى اليوم) - الأول من مايو ٢٠٠٦ - الصفحة الأولى.

أطراف آخرين يكون مهيئاً لاتخاذ قرار أو الميل إلى تشخيص معين و لم يوضح التقرير عما إذا كان المتهم قد خضع لعلاج دوائى أم لا أثناء فترة احتجازه مما قد يكون مؤثراً على حالته العامة ونحن بالطبع لا نكذب التقرير ولكن نتساءل عن معنى (النوبات العصبية) وحالات (الهياج) فى بعض الأحوال، وماذا عن التاريخ المرضى السابق وعلاجه لدى مستشفى بالقاهرة وأخصائى نفسى بالمنيا ؟!

واذا لم يكن هو القاتل فمن ؟ وما هى مصلحة الأجهزة الأمنية فى إلصاق التهمة به ؟ وإذا كان هو القاتل (وحيداً) فهل سيحاكم بتهمه على ضوء انخفاض درجة المسئولية الجنائية لديه Diminished Responsibility

وفى هذا الإطار وضمن كل التوقعات وحيث صارت القضية مادة صحفية شيقة ، طلع علينا النائب طلعت السادات (حسام صدقة — المصرى اليوم — ١١مايو ٢٠٠٦) بأنه قد تقدم بطلب إحاطة لوزير الشئون القانونية و البرلمانية ، و اللواء حبيب العادلى وزير الداخلية عن أسباب تصريح الحكومة فى الإعلان عن أن مرتكب جريمة بنى مزار (مختل عقلياً) وتسأل طلعت السادات ماذا فعلت وزارة الداخلية بعد إطلاعها على التقرير الطبى (الذى أثبت سلامة قواه العقلية وما مدى ارتباط جريمة بنى مزار بالتشكيل العصابى المقبوض عليه أثناء التنقيب عن آثار بقرية بيلا المجاورة لقرية عزبة شمس الدين) التى تمت فيها المذبحة؟ (وهو بالفعل سؤال مهم للغاية يستحق النظر فيه ويستحق الإجابة علية علنيّاً وفى كل الصحف ووسائل الإعلام) ثم يتسأل طلعت السادات عن (؟) حقيقة سفر الأعضاء البشرية التى قيل أنها أخذت من جثث المجنى عليهم إلى إسرائيل؟ (وأعتقد أن مسالة السفر ، وإقحام إسرائيل فى الموضوع) طريفة فى موضوع مؤلم ومحير

، و النائب طلعت السادات معروف بقفشاته فهو الذى طلع علينا فى برنامج (القاهرة اليوم – قناة الأوربت) باقتراح أن يذهب جنود الأمن المركزى إلى الحدود ليمسكوا أو (يعكشوا) على حَدّ قوله الطيور المهاجرة الناقلة لفيروس الأنفلونزا (....)

من ناحية أخرى طالب مركز النديم"١٤" بإعادة التحقيق فى مذبحة بنى مزار، وادعى أن المتهم تعرض للتعذيب .. وقضى ٤ أشهر بمستشفى العباسية مقيد اليدين، وأن الدافع للجريمة سرقة الآثار و"فتح الكنز" .. وأن العصابة لا تزال مطلقة السراح ....

طالب مركز النديم (للعلاج والتأهيل النفسى لضحايا العنف) بإعادة فتح التحقيق فى مذبحة بنى مزار بواسطة قاضى تحقيق محايد يضمن عدالة ونزاهة عملية التحقيق على أن تشتمل التحقيقات على وقائع جريمة التعذيب التى تعرض لها المتهم محمد على عبد اللطيف المحبوس على ذمة القضية(حسب قول المركز)، و طالب أن يستدعى فى تلك الجريمة الأخيرة جميع من تورطوا فيها. بما فى ذلك كبار لواءات الداخلية ومساعد الوزير سواء من قاموا بتلك الجريمة أو من أمروا بها أو من سكتوا عنها(و لم يقدم دليلاً يستند علية فى تلك الادعاءات).

وشدد المركز فى تقرير له على ضرورة فتح القضية من جديد ومناقشتها بهدوء، بناءً على ما توفر من معلومات جديدة، خاصة بعد صدور تقرير الطب الشرعى رقم ١٣٨٧/٢٠٠٦ وتقرير المعمل الجنائى وتقرير شرطة الإنقاذ النهرى، وأخيراً بعد صدور قرار اللجنة الطبية النفسية.

---

14 المصرى اليوم - الخامس من مايو ٢٠٠٦

وشكك تقرير مركز النديم فى رواية وزارة الداخلية فى القضية وما أعلنته للرأى العام.

وقال: إن الداخلية أعلنت القبض على محمد بعد ٤ أيام من الحادث، وادعت أنه ضبط أثناء محاولته الهرب، بينما تبين من عدة مصادر أنه قد تم القبض على محمد وأسرته بعد ساعات من ارتكاب تلك الجريمة، مشيراً إلى أنه التكتم على الخبر لحين الحصول على اعتراف محمد بالجريمة أو الموافقة على "شيل" القضية علىٰ حد تعبير مساعد وزير الداخلية لوالد محمد.

وأضاف التقرير:

تم القبض على محمد بعد أن تطوع شخص يدعى عصام بتبليغ الأمن أن محمد سبق علاجه من مرض نفسى، فقام الأمن باحتجاز محمد فى بيت عصام لعدة ساعات، حيث تم التعدى عليه بالضرب المبرح على مرأى ومسمع ثم إيداعه حجز قسم الشرطة.

وواصل التقرير على رغم م ادعاء الداخلية بأن أخته قد غسلت ملابسه من آثار الدماء وجدت على "جلباب" محمد، وأنها مطابقة للبصمة الوراثية لإحدى الضحايا.

وزاد أن الداخلية ذكرت فى البداية أن الأداة الجنائية "بلطة وساطور" وقد تم إلقاؤهما فى الترعة، ولكن جاء تقرير شرطة الإنقاذ النهرى أنه بالبحث عن الأداة فى الترعة الإبراهيمية على مسافة ٧٠٠ متر طولاً و٢٠ متراً بعرض الترعة و٣ أمتار بعمقها، وكذلك بالبحث فى المصرف المقابل والمؤدى لمنزل الجانى لم يسفر البحث عن شىء.

وشدد التقرير أن الأداة الجنائية ظلت تحت يد الشرطة قبل وصول النيابة وتساءل: هل هناك احتمالاً أن الشرطة قد عبثت بالأدلة الجنائية،(ونحن بدورنا نتسأل هل هذا ممكن ولماذا؟)

وهل هذا سبب تضارب التصريحات حولها؟

سواء ذلك التصريح الخاص بالجلباب أو بأدوات الجريمة وهل ذبح ١٠ أشخاص بضرب على الرأس والرقبة لا يحدث أكثر من بقعة من الدماء على جلباب وفردة حذاء؟ كما تساءل هل تظل البصمات بعد الغسيل؟ وهل من تسلق الحوائط لم يترك أية بصمات على الجدران أو على جثث الضحايا أثناء التمثيل بجثثهم؟

وقال التقرير نفترض أن الجانى كان يرتدى قفازاً لو كان الأمر كذلك لما وجدت بصمات على الساطور وإن يكن فالمنطقى أن توجد بصمات على كل الحوائط والنوافذ والجثث مثلها مثل أدوات الجريمة التى أدعت الداخلية أنها حملت بصمات المتهم بعد ادعائها بأنها ألقيت فى الترعة.

وأكد التقرير أن تقرير الطب الشرعى أوضح أن جثث الضحايا قد ذبحت جميعاً فى نفس الوقت تقريباً الساعة الثالثة فجراً، وأن الضحايا العشر بهم إصابات حيوية بالرأس والرقبة وهناك تشابه شديد بين شكل تلك الإصابات وأن إصابات جدار البطن والأعضاء التناسلية قد تمت بعد الوفاة، وكذلك قطع الأصابع فى بعض الجثث.

وجدد التقرير التساؤل مرة أخرى إذا كان الجانى قد قطع الأصابع الثلاثة الوسطى مع العضو التناسلى وأن الشرطة لم تجد منازل الضحايا فلم

أخذ الجانى الأصابع ولماذا لم يدل الجانى على مكانها برغم اعترافه بارتكاب الجريمة؟ وزاد التساؤل كم من الوقت يستغرق تسلق الجدران ودخول الشقة والصعود لحجرات النوم وذبح الضحايا بساطور، دون أن يصرخ إنسان واحد من شدة الضربة لينتبه من معه بنفس الغرفة ويحاول المقاومة، وبعد قتل من ٣ إلى ٤ أفراد يبدأ بتشريح جثثهم بأداة حادة وبمهارة ودقة شديدتين، حيث إن جميع الجثث بها جروح قطعية تبدأ من منطقة البطن حتى الأعضاء التناسلية. دون إحداث جروح بالأعضاء الداخلية، ثم بعد ذلك قطع الأعضاء التناسلية أو بتر قطع إحدى اليدين ثم الانتقال للمنزل المجاور. وتسلق جداره بمهارة حتى لا يستيقظ من بالدار واستكمال نفس السيناريو فى ٣ بيوت وعشر ضحايا؟ وتساءل: كم من الوقت يحتاجه شخص واحد لارتكاب الجريمة وأى درجة من الذكاء والمهارة يجب أن تتوفر لديه؟ وهل تنطبق هذه الأوصاف على شخص كمحمد أثبت التقرير النفسى أنه محدود الذكاء. وانتهى التقرير إلى أن هذه التساؤلات تثير شبهة أن الدافع للجريمة كان سرقة الآثار "فتح الكنز" بلغة أهل الصعيد. لافتا إلى أن من يقف وراءها عصابة عالية التنظيم تشتمل على عدد من الأشخاص لازالوا مطلقى السراح، يتعارض هذا التصور مع تقارير أخرى . وأكد التقرير أن الملابسات فى هذه القضية من كثيرة إلى درجة أنه لا يمكن أن يطمئن لها ضمير إنسان، خاصة أن العقوبة ستكون الإعدام شنقاً ، نعتقد من جانبنا أن الحيرة و الغموض قد شملتا الموضوع من كل جوانبه وزاداتاه تعقيداً إلى درجة غريبة !! وبين التصور الأول بأن الفاعل (فصامى ، أو محدود الذكاء انتابته نوبة جنون) وبين المعطيات الأخرى من أن قتل العشرة ضحايا كله تم بطريقة واحدة وبآلة واحدة ، بجانب أقوال الشهود واعتراف أهل القرية بسابقة للمتهم فى محاولة الاعتداء على سيدة من القرية مما أشرنا إليه سابقاً.



أما الأهرام فى صدر صفحتها الأولى (١٦ أكتوبر ٢٠٠٦) فلقد أوردت أن المحكمة فى حيثياتها لبراءة المتهم محمد على عبد اللطيف، أن الغموض والريبة يلفان اعترافاته، كما قالت المحكمة أيضاً إن الجريمة، التى وقعت أحداثها بقرية شمس، وراح ضحيتها عشرة من الرجال، والنساء، والأطفال بالقرية، ليست فردية، وانما هى جريمة ذات نسق منظم، حيث تم قتل جميع الضحايا، دون ترك أثر، والهروب من موقع الحادث بنجاح، دون افتضاح الأمر (حسب رأى ورؤية المحكمة)، وأشارت إلى بطلان اعترافات المتهم، وأنها جاءت نتيجه إكراه معنوى ومادى مورس عليه، وأسرته، وبالتالى سقطت الإدانة عنه من الناحية الإجرائية (...)، أما من الناحية الموضوعية، فأعربت المحكمة عن عدم ارتياحها لاعترافات المتهم، بأن حالة نفسية تنتابه دفعته إلى ارتكاب الحادث، بعد أن اطمأنت لتقرير اللجنة الطبية النفسية، الذى جاء فيه أن المتهم لم تظهر عليه أعراض أو علامات المرض النفسى (مع العلم أن التاريخ المرضى العقلى السابق لم يؤخذ فى الاعتبار، بجانب أن هناك شكوكاً كبيرة تكمن فى أن المتهم قد عولج بالعقاقير ذات التأثير النفسانى — المُعقلة — بعد وصوله بقليل إلى عنبر المذنبين فى مستشفى العباسية — المؤلف)، بالإضافة إلى الصورة البشعة التى ظهر عليها الضحايا بعد الحادث، من بقر بطونهم دون المساس بالأمعاء الدقيقة، والأحشاء الداخلية لهم، واستئصال الأعضاء التناسلية للذكور، وتشويه فروج النساء (وهذا يتعارض مع الهدف من قيام مجموعة بهذا العمل، ويؤكد على تفسيرنا السابق بأن الحالة عقلية فصامية،ات هوس شديد بالأعضاء التناسلية — المؤلف).

أما فى ٨ سبتمبر فلقد أجرى الأهرام حواراً مع القاضى قدمه جمال الكشكى كالتالى: (جاءت النتائج عكس المقدمات تماما فى مذبحة بنى مزار التى راح ضحيتها١٠ أشخاص بقريه شمس الدين، ولاتزال أصـــداؤها تهـــز الرأى العام وتضعه فى حيرة وربكة من فرط تداخل المعلومات وكثرتهـــا.. لكن المستشار محمد عبدالرحيم إسماعيل رئيس محكمه جنايات المنيا حـــسم كل هذا الجدل (وقتيا وقضائياً فى المرحلة الأولى فقط — المؤلف)، وأصدر حكماً يضعه فى مصاف الأحكام التى وصفها المحرر بالتاريخية التى لا تغفلها ذاكرة

القضاء المصرى.

(فى البدايه سأله الكشكى — نورد هنا النص كـــاملاً بتـــصرف لغوى بسيط جداً لا يخل بالمعنى، المؤلف):

* هل تعرف ردود افعال الشارع بعد حكمك الذى أصدرته بالبراءة ؟!

- البراءة عنوان الحقيقة، وأنا قاض أحكم بالعدل ومايمليه على ضميرى.

* وما الذى أملاه عليك ضميرك فى هذه البراءة؟

- منذ الوهلة الأولى لنظرى لهذه القضية، تكوّن لدى إحساس بأن المتهم برئ.

* كيف؟

- اكتشفت ذلك فى تقارير الطب الشرعى؛ فتقرير كبير الاطباء الشرعيين اختلف مع تقارير نائبه ومساعده، الأول أكد استخدام المتهم آلة حادة ثقيلة بلطة وأنها استخدمت فى شق بطون المتهمين، بينما تقريرا نائبه ومساعده أكدا على أن المتهم استخدم آلتين: إحداها ثقيلة — ساطور — والثانية سكين، وهذا يعنى وجود تناقض.. بمعنى أنه حسب التقرير الأول، فلو أن المجنى عليه استخدم آلة ثقيلة وضرب بها على البطن؛ فلابد من وجود تمزيق

وتقطيع لأحشاء البطن من الداخل لكن الأحشاء سليمة، وهذا يكشف التناقض بين التقريرين.

* لكن طريقة قطع الأعضاء الذكرية أثارت أيضا علامات استفهام عديدة فى القضية؟!

- الأعضاء الذكرية مقطوعة من جذورها، بالإضافة إلى قطع الخصيتين أيضا بشكل مستدير، وهذا معناه أن المتهم محترف.(تفسير ذلك شرحناه سابقاً فى تفسير مسالة الهوس الفصامى بالأعضاء التناسلية والآليات المفسرة للموضوع من الناحية النفسية الجنائية ــ المؤلف).

* معنى كلامك أنه غير مجنون؟!

- بصدق من ينفذ هذه الجريمة لا يمكن أن يكون عاقلا أو مجنوناً (هذا بالطبع رأى قانونى بحت للقاضى ــ المؤلف) .

* إنها جريمة قتل بشعة بها خيوط عديدة.. ماهو الذى لفت نظر المحكمة فيما يتعلق بالأعضاء الذكرية؟!

- إن هذه الأعضاء تم قطعها بشكل غير حيوى أى انه تم تقطيعها بعد وفاة الضحايا.

* بصراحة هل تعتقد أن هناك قصوراً فى جمع المعلومات، التحريات والأدلة التى تقود إلى خيط الجريمة.

- لا أنكر أن أجهزة البحث الجنائى بذلت جهدا كبيراً فى أداء عملها لتقديم الدليل.

* وأين هو الدليل؟!

- المحكمة لم تطمئن للأدلة؟ (إذا هو عدم اطمئنان لأسباب فنية وتقنية وهو ما يفسره رد القاضى فى الأجوبة التالية ــ المؤلف).

* لماذا؟!

- لأن هذه الأدلة لم تأخذ إجراءاتها الصحيحة.

* كيف؟!

- مثلاً يعنى فيما يتعلق باحذاء وجلابية المتهم، لم يتم تقديمهما عن طريق النيابة، على الرغم من أن الإجراء الصحيح أن يتم عرضها على سلطة التحقيق أولاً وهذا لم يحدث.

* على ذكر الحذاء والجلباب إلى أى مدى ساهم الجلباب فى هذه البراءة؟!

- لا يعقل ان تتم مذبحة بهذه البشاعة وبهذا الحجم دون أن يغرق المتهم فى دمائه.. وليس منطقيا أن يكون بالجلباب بقعة أو بقعتان من الدماء فقط. فهذا لا يتسق مع بشاعة الجريمة (بالطبع هنا نحن أمام رأى افتراضى فنى خاص يتعرض مع ما سبقه من أن القطع جاء بشكل مستدير وحرفى، ليس مستبعداً علمياً وعالمياً مع حالات نادرة من الهوس الفصامى — المؤلف)

* سيادة القاضى.. ألم تخش ردود أفعال هذا الحكم الجرئ؟!

- خير للإمام ان يخطئ فى العفو من أن يخطئ فى العقوبة (أعتقد أن هذا هو لب القصيد فى جوهر هذا الحكم بمعنى تضارب التقارير مع الإهمال الفنى بجانب الملابسات الإعلامية وتحول القضية إلى قضية رأى عام تؤثر وتتأثر بما يدور حولها ـــ المؤلف)... كما أننى قاض محترف ولو حكمت ما اخفش ولو خفت ما احمكش.

* ألم يزعج المحكمة دخول محامى مثل طلعت السادات، خاصة أن البعض يرى أن دخوله صنع نوعا من تسيس الجريمة؟!

- كل هذا لم نضعه فى اعتبارنا.. نحن فقط نحكم بما يمليه علينا ضميرنا أمام الله وأمام الرأى العام.

* من يتحمل دماء الضحايا؟

- الفاعل الأصلى.

* ومن هو؟

- الجاني الحقيقي لازال مجهولا.

رد أجهزة الأمن

أما في (أهرام ٢٠٠٧/١/٦) ، وتحت عنوان :نالت وصف " أكثر الجرائم بشاعة " ــ مذبحة بني مزار بين عامين..! كتب المحرر (إنها من تلك الجرائم غير القابلة للنسيان فسوف يمر من الزمن الكثير حتى تنسحب أحداث جريمة بني مزار إلى موضعها في أرشيف الجريمة، على الرغم من أن الجريمة الشنعاء وقعت في أخر ليالي عام ٢٠٠٥ ، فإن أصداءها ملأت أيام عام ٢٠٠٦ وتصدرت في كثير من الأحيان الأخبار على مستويات عديدة.

كان رد فعل أجهزة الأمن ليؤكد أن القاتل الحقيقي هو محمد عبد اللطيف الذى صدر الحكم ببراءته، وقد أبدت أجهزة الأمن احترامها للمحاكمة، غير أن عدم ثبوت التهمة في حق المتهم لا يقتضى بعدم حدوثها على يديه.

وفي المجرى نفسه انضمت النيابة العامة لتتقدم بالطعن على حكم البراءة، مستخدمة حقها القانوني في المطالبة بإعادة المحاكمة مرة أخرى أمام دائرة مختلفة لتمسك النيابة بأدلة الأتهام التي وردت في التحقيقات التي أجرتها، وكذلك ما أسفرت عنه جهود المباحث في القضية التي كانت غريبة على كل المستويات وشكلت إحدى أكبر علامات الاستفهام والتعجب أمام الكثيرين؟!

وفي عزبة شمس الدين لازالت القلوب حزينة ومتعبة وأشباح الجريمة تجوب السوداء وبمجرد طعن النيابة على الحكم قد تبدأ خطوة ذات درجة كبيرة من الأهمية، إذا ما تمت إعادة المحاكمة — إذا ما رأت الجهة القضائية

المنوط بها هذا الأمر — فسوف يجيئ المستقبل ليشكل من بين أحداثه حلقة جديدة لكنها ستكون الحلقة الأخيرة بأى نتيجة تنتهى.

ودارت الإشاعات، فالناس مرة يتهمون عصابة خيالية لبيع الأعضاء ــ على رغم من ضعف هذا الفرض ــ فإن هناك من روج له، وهناك من اتهم عصابات الشعوذة المتحالفة مع مافيا الآثار (... الاتجاه الأكثر قبولاً لدى الناس ويجمع بين نظرية المؤامرة، الغيبيات، ورفض كل ما يطرحه الأمن حتى لو كان صحيحاً ــ المؤلف)، ومنهم من اتهم عصابة من الجن (...)، هم وحدهم الذين يستطيعون ارتكاب جريمة بمثل هذا الأسلوب من الدقة إلى درجة قتل نصف سكان منزل دون أن يشعر بهم النصف الآخر خلف باب واحد.

الفصل الثانى

فى مسألة القتل

أبناء هتلر ... يقتلون أبناء كلينتون "[15]"

فى ٢٠ أبريل "عيد ميلاد هتلر" ، قام مراهقان بزرع القنابل والألغام حول المدرسة التى يتعلمون فيها، كانا مسلحين بالرشاشات،وقاما بدم بارد بقتل خمسة عشر طالباً، ثم انتحرا. كانا منبوذين من الآخرين — هكذا قال بعض الطلاب — وكانا ضعيفين نفسياً وجسدياً — قال أحدهم وهو يقهقه ويقتل: إننى أفعل كل ذلك لأن الناس يسخرون منى. قال نك زوبانك الطالب بمدرسة كولومبيان العليا بعد المذبحة:

"لقد كانا منبوذين، كان الجميع يضحكون عليهم، كان الكل يمزقهما بالكلام العنيف«. وقبل أن نخوض فى تفاصيل الحادث نشير إلى أن الرئيس الأمريكى نبه إلى ضرورة أن تنتبه الأسر إلى الأولاد بأن يكلموهم وأن يهتموا بهم، لم يتطرق كلينتون إلى موضوع السلاح النارى أو المتفجرات، كان يعرف أن اللوبى القوى للرشاشات لن يسمح له بأى حوار — مجرد حوار عن منع الأسلحة، فالسلاح أصبح أمراً عادياً، بل ضرورياً للبشر فى أمريكا من تنبيه كلينتون إلى الأسر. نورد هنا حديثاً لعالم الاجتماع الكندى: مارشال ماكلوهان الذى قال: إن حرب فيتنام خسرها الأمريكان فى غرف المعيشة — فى بيوتهم — ولم يخسروها فى ساحة الحرب فى فيتنام.

هناك ربط ، ليس عشوائياً، وليس مجرد صدفة بين هؤلاء القتلة الصغار وبين (ماكفى) الذى فجر المبنى الحكومى فى أوكلاهوما كان ضعيف البنية، ضعيف النفس، ولما سعى إلى القتال العنيف وجد نفسه، ولما رفضوا

[15] المؤلف ، صباح الخير ، مصر ، ١٩٩٩.

ترقيته فى البحرية الأمريكية انكفأ على ذاته ولما حانت له الفرصة حمل المتفجرات وفجر المبنى والناس وقتل حوالى ١٦٥ إنساناً.

وليس الأمر أيضاً محض صدفة أن تتشابه بعض الصفات فى الشخصية والأداء بين هؤلاء القتلة المراهقين وبين الرجل متوسط العمر (توماس هاملتون) الذى نبذه مجتمعه وحاصره ورفضه، فانتقم منه فى أعز ما يملك، أولاده ، قتل أولاد المدرسة فى (دنبلين) فى إسكتلندا ثم قتل نفسه. كان ضعيف النفس والجسم، يحاول التعويض عن ذلك بنشاطات اجتماعية ورياضية، ولما ضاقت به السبل تحول إلى المسدس والمدفع يستمد منهم القوة والفحولة ثم ينهى حياته وحياة الصغار.

ولكن البريطانيين يميلون إلى تمرير الأمر، والقول إلى أن مثل هذا الحدث يحدث فقط فى أمريكا، حيث إن رد الفعل الغريزى ـــ وربما الطبيعى ـــ إن عدد الأسلحة النارية فى أمريكا يفوق الحد والوصف والعدّ.

إن القتل الذى تم فى (دنبلين) بإسكتلندا وكذلك فى مدينة (هنجرفورد) يثبت أن تسريب الأسلحة إلى قاعات الدرس ليس مقصورا على أمريكا ، لكنه يحدث فى بريطانيا وفى دول أخرى، ربما.

والسؤال الهام والكبير هو: لماذا قام (إريك هاريس) و(دايلون كليبولد) بهذا القتل الجماعى؟! ليس هناك سبب واحد، وليس هناك دافع وحيد. بمعنى أن الحصول على السلاح ليس دافعاً للقتل، أى أن الحصول عليه سهل عملية القتل، لكن للقتل أسباباً أخرى مبيتة. اجتماعية فى الأساس. الوله بالشواذ والمسخ مثل ذلك المغنى (مارلين مانسون) الذى يأخذ اسمه الأول من مارلين مونرو، واسمه الثانى من السفاح (تشارلز مانسون) إن

أمريكا ملأى بمراهقين بيض من أبناء الطبقة الوسطى مثل (إريك وديلان)، وهم أغلبهم يغلبهم الإحباط واليأس وفقدان الأمل فى مجتمع استهلاكى شره فقد مقومات وجوده، وربما يحمل فى أحشائه بذور فنائه. لماذا تعلو الدهشة وجوه الناس، ولماذا تصيبهم الصدمة وهم يعلمون علم اليقين ان هؤلاء المهمشوين فى مجتمع غنى يطفح بالخير والتكنولوجيا يتمنون تشويه هذا المجتمع الذى فى نظرهم لا يعدل ولا يتيح الفرص.

فى الفيلم المعروض حالياً فى الشاشات، فيلم هوليوودى بحق، إنتاج أمريكى، بطولة البطل المفتول العضلات، البطل المنتقم من الأغنياء المتجبرين، والمافيا والعصابات (ميل جيبسون) الذى ينتهى به الفيلم فى سيارة مسروقة يقول لصاحبته:

(إذن فليتوقف كلانا عما يفعله، أتوقف أنا عن إطلاق النار على الناس وتتوقفين أنت عن البغاء)؟! وكأنه يختصر حيوات أناس كثيرين، لا يتمكنون من العيش إلا بالقتل وبيع الهوى.

الممثل الفذ (جاك نيكلسون) يقول فى حديث نادر للإذاعة تعقيباً وتفسيراً لرفضه الظهور فى مقابلات تليفزيونية "التليفزيون مصيدة فئران، أرفض الوقوع فيها" إن هذه الآلة المسماة بالتليفزيون سم، غيرت الناس والسينما، إن أفلام الإثارة الحديثة Action تحوى كل ثمانى دقائق مشهداً عنيفاً، كالانفجار، أو الدوى، أو زخات الرصاص، وهذا سببه أن الناس تعودوا على عرض الإعلانات كل ثمانى دقائق، وخضوعاً لحتمية رأس المال تكون المشاهد التى تشد الناس وتبكيهم. وتنتقل هذه المأساة من الشاشة إلى الواقع، فنرى أفلام وبرامج التليفزيون الأمريكية، تؤكد دوماً على النمط المدرسى العالى: طالب نموذجى، مشبع جنسياً، لائق بدنياً، بل فتوة مفتول

العضلات، وعلى نفس الصعيد نجد أبطال الثقافة الطالبية المدرسية فى أمريكا من نوع آخر، غاضب، يكره السلطة، ويعادى المؤسسة بكل أشكالها: مؤسسة الأسرة، الحكومة، العالم. وهؤلاء القتلة الصغار نموذجاً لهؤلاء الصبية الذين لم يتمكنوا من التعاطى مع الواقع المعاش، الواقع المدرسى، والأسرى، والمتجمع بشكل عام، وهنا فهم يهربون إلى واقع آخر فى بطن التاريخ. فيتماهون (يتوحدون) مع هتلر ومن ثم يقتلون السود فقط لأنهم سود ، و ها هو أحدهم يصيح فى بهجة انظروا إلى مخ هذا الولد الأسود إنه قبيح سأفجره الآن. ومن ناحية أخرى توحدوا مع مغن مشوه النفس والشكل والملامح (مارلين مانسون) معاد للسيد المسيح وللدين وللدنيا، عيناه حمراوتان ويضع أثداء صناعية ويمارس الجنس على خشبة المسرح مع مشاهد عار يستفزه بالطلوع إلى موقعه؟! إن واقع هؤلاء الصبية نوع من الثقافة الخاصة الأشبه بالسحر ضد المثل، والبطولة، نوع من الثقافة الخاصة تأخذ الأمور إلى مداها، فى أبعاد مرعبة للغاية.

إن صناعة النجم، البطل، المجرم، رجل الأعمال، السياسى فى أمريكا تحكى لنا روايات وتقدم لنا صوراً لا تحمل لأبطال عنيفين، وهم يحتفلون بالعنف احتفالاً ودون صخب يقتلون بدم بارد جداً الناس على الشاشة، وفى ساحة اللعب، وفى فصول الدرس. وتنتبه شعوب أخرى أوروبية أساساً إلى البعد العنصرى فى علاقات الناس ببعضها مثلما الحال فى فرنسا، ألمانيا، بلجيكا وبريطانيا، حيث يقتل العرب والسود بدم بارد، تحت ضغوط التوحد مع ثقافة عنصرية عدوانية مجرمة، وهذا يغذى ويتغذى على أحاسيس منتشرة بين شباب هذا الجيل مثل الإحساس بالمرارة، والإحباط والعقم النفسى.

قال مذيع فى الـ CNN: اسمعوا (مارلين مانسون) وهو يغنى وأنتم تدركون من أين نبع القتل والقتلة الصغار.

(مارلين مانسون) معروف باسم عدو المسيح اسمه الحقيقى براين باركر ولد وترعرع فى فلوريدا الساحرة، ودخل مدارس مسيحية وعندما شبّ وكبر أصبح (شيطانياً) متمرداً على القيم والناس والشكل والتقاليد، غير اسمه إلى (مارلين مانسون) من مارلين مانرو وتشارلز مانسون أهم أيقونات العصر الأمريكى الذى ترعرع فيه الشباب الأمريكى وهما أيضاً طرفى نقيض، شرير سفاح قاتل (مانسون) وعاشقة ممثلة رمز للإغراء انتحرت فى عز شبابها (مارلين مونرو)، كوّن هذا الرجل الغريب فرقة موسيقية طفحت بأغان وألحان وصفها أحد النقاد الأمريكان بقوله بـ»الأقذر، الأسوأ، الأبشع تسجيلات جنسية، موجهة للشباب« ويعد الثالث أكثر مبيعاً فى قارة أمريكا الشمالية وله رواد وعشاق فى مصر وكافة البلاد العربية(...). يلبس الشباب فانلاته ويغنون أغانيه ضد السيد المسيح.

يقال حسب مصادر من طلاب المدرسة المنكوبة إن المراهقين كانا ضمن مجموعة تضم ثمانية إلى عشرة طلاب تسمى نفسها (مافيا المعاطف الواقية من المطر)، وأن هؤلاء الطلاب كانوا مكروهين بشدة من الطلاب الآخرين، كانوا بمثابة الجُفاء والغثاء، وبالتالى لم يسع أى أحد لضمهم إلى أى نشاطات طلابية أو اجتماعية لقد كانا يلعبان لعبة الحرب، الكر والفر، الضرب والقتل، لقد وجدوا الرب فى ذواتهم وفى موسيقى وأغانى (مارلين مانسون)، كانوا متشنجين، غرباء، لكنهم لم ينخرطوا فى أى عمل عنفى. كما قال (جاسون جرير) طالب عمره ١٥ سنة، كانت المجموعة ترتدى ثياباً داكنة اللون، ومعاطف غامقة، كانوا يتحدثون بكثرة عن هتلر، كانوا

مغرمين بالنقاش حول كيفية قتل الناس وقطع رئوسهم، كانوا يركزون على أغنية (مارلين مانسون)، المعروفة باسم (أنا أكره الناس)، كانوا يكرهون المدرسة وكل شيء حولهم، فى حصة الإنشاء والتعبير، كانا يقرءان بصوت عال تعبيرات خاصة بالموت، كانوا يلبسون معاطف خاصة بالقتال، وأحذية برقبة تضم حول الساقين حواف البنطلونات الجيتز، وكأنهم رعاة البقر الجدد، الكاوبوى نسخة ،٩٩ فى عيد ميلاد هتلر الـ ١١٠. هناك علامات عديدة يجب التوقف عندها فى مجال التحليل الحدثى والاجتماعى والنفسى والدينى للمجزرة البشعة فالقاتلان اختارا بنتاً معروفة بتدينها وكانت مؤخراً فى رحلة إلى بريطانيا مع كنيسة المدينة قال لها (هاريس) وهو يشد شعرها ويضع فوهة المسدس على رأسها: من هو ربك؟! كان يضحك فى بلاهة وجنون: قالت مستجيرة استسمحك لا تقتلنى، أرجوك، لا تقتلنى؟ قال: قولى أننى ربك، إننى أمسك بزمام الأمور، أنت تحت رحمتى؟! قالت البنت: لا. أنت لست ربى. صرخ فيها قولى إننى ربك؟ رددت وأعادت على مسامعه جوابها السابق: لا، أنت لست ربى. عندئذ كانت الإجابة زخات رصاص أردتها قتيلة. لقد مرّت الأسلحة على أيد كثيرة قبل أن تصل إلى ترسانة المقاتلين المراهقين. إن مجتمع العنف الذى لم يمت له جندى واحد فى حرب البلقان مات له خمسة عشر شاباً وبنتاً فى ربيع عمرهم والمثير للدهشة وللحزن وللمفارقة الصعبة أن رجال الشرطة الفيدرالية كانوا من جنود فيتنام السابقين، كانوا يبكون وهم يفتشون المكان الملىء بالدم وبالجثث وكأنه يردد قول عالم الاجتماع: نعم نحن لا نخسر الحروب فى ميادين القتال لكن نخسرها فى بيوتنا.. فى داخل الأسرة الأمريكية وفى مدارسنا.

- أكل أجزاء من جثثهم ومارس الجنس مع أربعة من الموتى
- جيفرى داهمر يموت على يد سجين آخر فى المرحاض
- علاقة القصة الحقيقية فى نيويورك بفيلم "صمت الحملان"

القاتل السفاح الآكل لحوم ضحاياه جيفرى داهمر يقتل ربما بالضبط -كما لقى ضحاياه الـ١٧ حتفهم- مثله مثل شخصية (هانيبال ليكتر) الآكل لحوم البشر التى جسدها الممثل العالمى البريطانى الأصل أنتونى هوبكنز فى الفيلم الذى حاز على جوائز أوسكار "صمت الحملان".

قتل داهمر على يد زملائه القتلة فى أحد السجون (معاهد الإصلاح) فى أمريكا فى الأسبوع الأخير من شهر نوفمبر ١٩٩٤.

لم يذكر اسم قاتل القاتل آكل لحوم البشر، وانما عرف أنه ضرب بشدة بهراوة ثقيلة وتركه مضرجاً فى دمائه فى مرحاض السجن. قتله أمام زملائه حتى الموت، وكأنه كان ينتقم منه لبشاعة فعلته وليشفى غليل بعض أقارب ضحاياه السبعة عشر، المثير للدهشة أن كل السجناء قالوا إنهم لم يروا شيئاً، حيث مات داهمر البالغ من العمر ٣٤ سنة بعد أن اعترف بقتله ضحاياه، بل وبأكله لحومهم بعد موتهم.

نعم اعترف القاتل للقاضى ولهيئة المحلفين بأنه قتل سبعة عشر رجلاً وأكل أجزاء من أجسادهم، ولأن القانون فى نيويورك لا يسمح بالإعدام، فلقد حكم على داهمر بالسجن المؤبد، من المرجح أن داهمر يكون قد ضرب

[16] الهدف الكويتية ، المؤلف ، ١٩٩٥ ، أبريل.

بشدة بمطرقة لكنه مات متأثراً بجراح عميقة بعد أن ضرب بهراوة ثقيلة هرع الحراس إلى صراخه حيث كان مضروباً إلى أن فقد وعيه ثم مات.

قال أحد مسئولى السجون فى مركز كولومبيا للإصلاح، لقد اخذت بنفس الطريقة التى أخذ بها أرواح ضحاياه، كان داهمر يعمل فى مصنع للشيكولاتة إبان النهار وفى الليل كان يصطاد الرجال الشواذ إلى شقته فى منطقة (ميلواكي) كان يخدرهم ثم يقطعهم إلى أجزاء مستخدماً منشاراً كهربياً، وكان يغلى اللحم نازعاً إياه من العظام محتفظاً بأعضائهم التناسلية فى برطمانات المربى الفارغة المجهزة خصيصاً لذلك مع قطع لحمهم، اكتشف البوليس القاتل المجنون بعد أن نجح احد الضحايا فى الهرب وهو مقيد بالسلاسل، كانت فى الشقة خمس جثث لرجال آخرين مع بقايا نتنة لجثة سادس، اقر الرجل المجنون أنه قد مارس الجنس مع ٤ جثث، ثلاثة منهم ذابوا فى حمض فى الحمام؟! كشف البحث عن إحدى عشر رأساً إنسانياً موزعة على ارجاء الشقة، واحدة منها كانت فى البراد (الثلاجة) وثلاثة فى (الفريزر) مع قلب بشرى محفوظ داخل ورق بصدير (فويل). قال داهمر للبوليس إنه كان يعد العدة لأكل ذلك القلب فيما بعد.

سبعة رئوس غلاها فى الماء حتى استوت على العظم فقط بينما بقت أربعة منها كما هى بلحمها وعظمها.

اعترف أيضاً القاتل المهووس بأنه كان يأخذ بعض جماجم ضحاياه من السود معه الى العمل بحيث يستغرق فى النظر إليها أثناء تناول الطعام هناك، كما اعترف بأنه قد أكل عضلة لرجل بعد أن ملحها ووضع عليها الفلفل الأسود وصلصة الباربكيو.

اشتكى الجيران من صوت المنشار الكهربى المزعج كما واجهوه بأن ثمة رائحة كريهة تنبعث من ناحية شقته، فكانت إجابته بأن اللحوم قد فسدت فى البراد.

قال أحد المحققين فى استغراب منقطع النظير: "لقد كان يأكل هؤلاء الذين يعجبونه فقط".

مات داهمر بعد أن حكم عليه بالسجن مدى الحياة لثوبت اتهامه بالقتل فى ١٦ حالة من السبعة عشر، وكان دائماً فى داخل زنزانته كالصندوق الزجاجى، مثلما تلك التى يوضع فيها الممثل أنتونى هوبكنز فى فيلمه الشهير "صمت الحملان".

قال ضابط السجن، لم يكن هناك خطر على حياته، أو على الأقل لم نحس بذلك، لكننا اكتشفنا منذ شهور عدة بعض الحبوب الدوائية معه، ربما كان يحضر للانتحار.

بقى ان الرجل المهووس قد قال أثناء محاكمته أنه لا يريد أن يخرج حراً للحياة أبداً؟! وإن مسألة الحياة والموت عنده سيان، على أنه تمنى الموت داخل نفسه.

لكن هناك دائماً ما كانت شبه همسة تدور فى أرجاء السجن أن هناك من يريد ان يكون بطلاً يوماً ما، هناك من سيقتل داهمر إن عاجلاً أو لاحقاً هناك من يريد التتويج من السجناء الآخرين، ولقد كان.

التعليق:

"القاتل الجماعى" ظاهرة تتميز بها المجتمعات الغربية تحديداً الولايات المتحدة الأمريكية وهى ظاهرة غريبة ومحيرة لعلماء الجريمة والنفس خاصة اطباء النفس الجنائيين، ظاهرة مقلقة ذات طابع درامى وتحظى بتغطية إعلامية واسعة فى كل الأحوال تقريباً.

ولأن هؤلاء القتلة يمثلون بضحاياهم ويمارسون أفعالهم البشعة على مدى زمنى متسع فإنهم يروعون المدن ويقضون مضاجع الناس حتى هؤلاء البعيدين نسبياً عن مكان جرائمهم.

ومتى نجحت الشرطة فى القبض على "القاتل الجماعي"، فإن ثمة مطلباً جماعياً من الناس بقتله يتزايد يوماً بعد يوم، وإنما يفسر إقدام قاتل داهمر على قتله تشفياً منه للناس وإن كان قاتل القاتل نفسه مجرماً فهو ليس على نفس القدر من البشاعة والكره وهو إنما يود أن يغفر له الناس جرائمه وإلباسه حلة البطولة.

يجب التفريق بين "القاتل الجماعى" الذى قتل مجموعة من الناس مرة واحدة مثل حالة ريتشارد سبى الذى قتل ثمانى ممرضات وهن فى غرف نومهن فى شيكاغو عام ١٩٦٦، أو "جيمس هيبرتى" الذى أطلق النار على ٢١ انساناً فى مطعم ماكدونالد وسميت وقتها "مذبحة ماكدونالد" عام ١٩٨٤ فى سان ياسيدرو بكاليفورنيا، وهم يختلفون عن داهمر الذى يقتل القاتل ضحاياه فرادى على فترات زمنية متتابعة مثل "بيتر ساتاكليف" سفاح يوركشاير الشهير الذى قتل ١٣ امرأة من إنجلترا عبر خمس سنوات ونصف، وكما سنشرح لاحقاً فلا تبدو أية فروق فى الطابع النفسى لكلا الحالتين (القتل الجماعى، مرة واحدة) والقاتل لعدد كبير من الناس على مدى زمنى

متباعد كل على حدة، ويجب تحديد هؤلاء القتلة استثناء من عمليات القتل الجماعى مثل الهولوكوست ومذبحة "ماى لاي"، وغيرهما من العمليات الإرهابية البشعة التى اتسم بها القرن العشرين.

نظراً لطبيعة تلك الجرائم وحساسيتها فإنها تستحوذ على اهتمام الصحافة أكثر من اهتمام المشتغلين بالقانون، وبالطب النفسى فى الكتابة والتحليل. وتركز مجلات مثل "النيوزويك" عام ١٩٨٦ على البعد الإنسانى وفظاعة الجرائم أكثر من محاولة الدخول إلى عالم المجرم القاتل وتحليله النفسى وتكتب التحاليل المختلفة فى الجرائد والمجلات غالباً بواسطة محررين لا اطباء أو علماء نفس أو قانونيين فى أغلب الأحوال.

كتب لافن من أشهر علماء الاجتماع تقريراً مطولاً ظهر فا كتاب تحت عنوان "القتل الجماعى" شاركه فيه العالم (فوكس) سنة ١٩٨٥ وناقش التقرير قضية الفحص النفسى للقتلة متحدياً ان يكون شاملاً نظراً لأنه لا يتم بشكل فعال إلا إذا كانت للجرائم توابع اجتماعية شاذة مربية وغريبةتدفع الى البحث والتقصى. ويؤكد لافن وفوكس على أنهما فى تصورهما النفسى الاجتماعى للقاتل الجماعى فإنما هما لا يضعون ثوابت أو (أكلشيه) يمكن أن تنطبق على كل الحالات سابقاً أو لاحقاً.

ففى وصفهما للقاتل الجماعى كما يراه رجل أبيض فى أواخر العشرينيات من عمره وأحياناً الثلاثينيات وإذا كان قاتلاً جماعياً من واحدة فإنه يستخدم رشاشاً أو مسدساً سريع الطلقات بينما القاتل الجماعى على واحد يقتل الغرباء بالضرب أو الخنق وتعتمد دوافع الجريمة على الظروف المحيطة بها. وهى تكاد تنحصر بشكل عام فى مسائل المفلوس، الغيرة، الثروة، وعلى الرغم من ان القاتل الجماعى يظهر بارداً لا يحس بالندم منكراً

المسئولية فإنه نادراً ما تظهر عليه علامات الجنون "الدهان" أو "المرض العقلي" بأى صورة.

وبمقارنته بالقاتل الفردى نجد أن إدمان الخمر والمخدرات فى حالة القتل الفردى ظاهرة مهمة وأنه يأتى غالباً من الطبقة المتوسطة و لم يحظ بقدر كاف من التعليم كما أن نسبة الشذوذ الجنسى فى الرجال القتلة الفرديين أقل بكثير منها فى هؤلاء القتلة الجماعيين.

وحين يفحص الطبيب النفسانى قاتلاً جماعياً مهووساً فإن الحالة تكون واضحة ومباشرة ويعتمد تقريره على أساس هل كان المجرم مهووساً مصاباً بأعراض حادة وقت ارتكابه الجريمة أم على الرغم من صعوبة هذا الأمر فإنه بالإمكان تحديده بشبكة من الأسئلة والاختبارات المعقدة نوعاً ما، يعتمد الفحص على اختيار الدوافع، الأفعال، والإدراك لدى القاتل، وأكثر ما يزعج فى الأمر هو أن يلبس القاتل حلة الجنون من أجل تفادى العقوبة وهى مسألة يسهل حلها بالملاحظة والمتابعة المستمرة داخل السجن على مدى زمنى معقول.

ويكون الحل صعباً أيضاً فهو يتراوح ما بين العلاج داخل مستشفى خاص (أشبه بالسجن) أو بالعقاب، أما فى حالة القاتل العادى ـــ غير المجنون- فان الأمر يزداد تعقيداً وكثير من هؤلاء يقتل ضحاياه ليخرسهم كشهود وهم مما لا يدع مجالاً للشك مضطربين للغاية، وهنا تكون مسألة تقديم تصور نفسى لإنسان غير مريض قتل جمعاً من الناس غاية فى الصعوبة.

المجتمع الإنسانى بشكل عام والغربى الأمريكى بشكل خاص يفكر الآن أكثر ما يفكر فى كيفية الوقاية المستقبلية ولا بديل إلا اليقظة والحذر

والتنبيه على الآباء والمدرسين، أطباء الأطفال، وأطباء النفس للأطفال والمراهقين حين يلاحظون لدى الصغار أى ميول تجاه العنف الشديد أو القتل أن يتضافروا بجهودهم مع كل الجهات، ربما نعم، نعم ربما من أجل وقاية البشرية من أحد عوامل دمارها البشعة والغريبة.

القاتل بالجملة والقاتل على مراحل
مـــأســـاة دنبليـــن"[17]"

ترى من هو توماس هاملتون ؟؟؟؟؟

تفاصيل الجريمة التى هزت بريطانيا، واعترافات سفاح الأطفال الإنجليزى

* الفرق بين الذى يقتل مجموعة من الناس مرة واحدة وبين من يقتلهم على مراحل، هو أن الأول غالباً مالايعانى من مرض عقلى ويكون بارداً لايحس بالندم، بينما الآخر غالباً مايكون مدمناً للخمر أو المخدرات أو كليهما.

* المشكلة الكبرى فى موضوع هاملتون هو رخصة حيازة السلاح واستخدامه والتدرب عليه ومن ثم فإن قانون حيازة السلاح واستخدامه سيتغير فى بريطانيا.

* يواجه المجتمع الغربى معضلة كيفية الوقاية وهى أمر يعتمد على القدرة على التنبؤ أو التكهن بمن هم فى خانة الخطرين مستقبلاً وهى مسألة شاقة إن لم تكن مستحيلة فى مجتمعات مفتوحة تتمتع بقدر كبير من الحرية والديمقراطية.

فى صباح الأربعاء ١٣ مارس ١٩٩٦ روعت بريطانيا كلها، كما لم تروع من قبل، انقلبت البلدة الوادعة "دنبلين" رأساً على عقب، زارها

[17] المؤلف ، صباح الخير ، مصر ، مايو ، ١٩٩٦.

الشر مجسداً فى صورة رجل أصبح الأمر الواقع كابوساً مخيفاً يجثم على الصدور، رجل، فى أواسط العمر، ٤٣ سنة، أصلع، ممتلئ، موسوس يسكنه هاجس الأطفال والسلاح النارى، بعد التاسعة والنصف صباحاً بقليل حصد الرجل بوسواسه وهاجسه القاتل حياة ١٦ طفلاً (١١ بنتاً وخمسة أولاد) كلهم مابين الخامسة والسادسة من العمر، مع مدرستهم ذات الخمسة والأربعين ربيعاً.. رفع أسلحته الأربعة فى ثلاث دقائق، صوب أحدهما: مسدس نصف أوتوماتيكى ٩ ميلليمتر، على الأطفال بدقة وعناية (وهو عضو فى نادى الرماية، وكان دقيقاً فى تصويبه) كانت الطلقة تدوى وتئز، ولاينتهى دويها، بل كانت الطلقة التى تليها تركب صوتها، ويستمر الأزيز متأججاً يترامى على بعضه البعض منطلقاً نحو الصدور والرؤوس البريئة ليميتها أو يجرحها، فقط بعض طلقات لم تصب التلاميذ، ثم وجه المسدس الآخر العالى القوة إلى رأسه منتحراً فى تراجيديا دموية بشعة.

اسمه توماس هاملتون، عاطل عن العمل، عاش وحيداً، حاول خلال خمس وعشرين سنة أن يؤسس نادى للكشافة بترخيص، لكن السلطات لم تسمح له، كان معروفاً عنه أنه غريب الأطوار سمع أنه تصرف بشكل غير لائق مع الأولاد، لكن لم تكن هناك أدلة على إدانته، ومع ذلك، رخص له بحمل السلاح، وبعضوية نادى الرماية!

ذكر أحد المارة أنه تطلع بشئ من الفضول من خلال زجاج نوافذ شقة "هاملتون" ورأى صوراً لأطفال شبه عرايا يستحمون ويسبحون، لم تكن الصور شاذة أو خليعة، ولكن تجميعها بهذا الشكل كان يدعو للحيرة والشك.

كان عمره ٢٢ سنة حينما طرد من مجلس الكشافة المحلى، لا لشئ إلا لأنه لم يكن مناسباً كقائد ومدرب للأولاد، وبعدها انتشر الهمس بين الناس بأن "هاملتون" شخص غير سوى، بل وشاذ جنسياً، وأدار الرجل القاتل المنتحر معركته مع السلطات المحلية (وقبل عمليته أرسل نسخاً من رسائله الى الملكة والبرلمان، والى الـــBBC والصحف).

وفى الكوارث يجتهد الناس فى استنتاجاتهم، ويعتمد العلماء على أساليب محددة لكن بشكل عام يظل الأمر كما فى حالات القتل الجماعى بنهم عصياً على الفهم، تتداخل فيه وتخرج منه عوامل كثيرة، ونظريات متعددة. لكن السؤال الأهم: هل الرجل مختل عقلياً؟ ! هل هو مجنون؟! هل هو مريض؟ لا.. شأنه شأن آخرين أتوا مثل فعلته.. إنه شخص غريب الأطوار هيأته الظروف، وهيأ لها المقومات، وتهيأ لها بنفسه وعقله وجسده، بمعنى أن هناك عوامل مختلفة تشكل البنية الرئيسية، وتحفز على حدوث ماحدث، وهى مزيج من العوامل النفسية والاجتماعية والعضوية، فهو لم يرتبط بأمرأة قط، ولم تكن له علاقات حميمة، وكان يسكن فى شقة فى منطقة متواضعة مختلفة عن تلك الفيللات الرائعة الأنيقة على التلال التى سكنها الأطفال القتلى وذويهم، وكان مهووساً بالسلاح النارى (وعلماء النفس يرون فى ذلك رمزاً تعويضياً للعضو الجنسى الذكرى القوى القادر على الفعل، إطلاق النار، إطلاق السائل المنوى، والطريف أن البحث العلمى قد أثبت أن القتلة بشكل عام تكون نسبة الحيوانات المنوية لديهم مرتفعة جداً؟!)

هذه العوامل المهيئة تتضافر مع ظروف تسهل حدوث الانفعال، تلتحم بخيالات عنيفة تزداد مع مرور الوقت (فانتازيا عنف دموية وعشق

مرضى للدماء والقتل والسلاح)، يتزامن ذلك مع انهيار فى الاعتبار النفسى، وفى الثقة بالذات، وإذا اجتمع كل ذلك مع صدمات حياتية مثل عدم القدرة على الانسجام مع الآخرين، أو تحقيق مستقبل وظيفى، أو النبذ والرفض والاحتقار يؤدى كل ذلك إلى حالة من التصدع والتشتت والشعور بالاضطهاد، من ناحية أخرى تتوالد الخيالات العنيفة داخل المخ والنفس والذاكرة فى طريق القتل والانتحار، قتل النفس وقتل الآخرين، كما حدث مع توماس هاملتون، الذى مقت نفسه إلى حد الموت، مقت الآخرين لأن لديهم أطفالاً، أراد أن يأخذ هؤلاء الأطفال بعض الوقت فى معسكرات الكشافة، فحرم من ذلك، ومن ثم حرم آباءهم ومجتمعهم منهم فى عرض خارق مجنون، بالمعنى المجازى للكلمة، مستبعد غير متوقع، يثير أكبر قدر من الشحنات العنيفة، الحزينة الغاضبة المليئة بالذنب والتوتر والإحباط.

*** سر الانتقام!**

حينما فتح توماس هاملتون النار صباح الأربعاء المشئوم ١٣ مارس لم يكن لينتقم من المؤسسة البوليسية، ولم يكن يثأر من مؤسسة الكشافة لطرده منها، أو من المدرسة، لأنها حذرت الأطفال منه لكونه شخصاً غريباً، لكنه كان - بشكل عنيف جداً - يعاقب الآباء فى بلدة (دنبلين) لقد لامهم كلهم بلا استثناء لأنهم آثروا تصديق ما أثير حوله من شبهات تتعلق بالهوس بالأطفال.

إن ملف الخطابات التى أرسلها هاملتون إلى وسائل الإعلام المختلفة يوم الثلاثاء ١٢ مارس ٩٦ حدد الأشخاص والمؤسسات التى فحصت الدعاوى والشكاوى، التى شكت وارتابت، ومن ثم لطخته بأنه غير لائق

للعمل فى مجال الجوالة مع الأولاد، ومع ذلك فعندما حان وقت الحساب لم يحاسب هاملتون تلك المؤسسات، وإنما حاسب الأهل الآباء، من هم توجعه مباشرة ضرباته.

لكن لماذا قام هاملتون بهذا الهجوم الشرس على فصل من الأطفال الأبرياء؟! هم فى النهاية غرباء عنه؟ بدلاً من أن يصب جام غضبه على من أهانوه ونبذوه؟! الإجابة تكمن فى ذلك الإحساس الغريب الذى تملكه طيلة حياته، تلك الشهوة الممتزجة بالانفعال والرغبة الجياشة.

تشير الدلائل إلى أن هاملتون كان رجلاً عنجهياً صلفاً، وقحاً، فظاً، تولدت لديه مشاعر الوله للصبية، حاجة ملحة لأن يكون معهم دائماً، صبية تقترب أعمارهم من البلوغ سن المراهقة، هذا يشير إلى طفولة ومراهقة هاملتون، ومامر به من تجارب فى هاتين المرحلتين، ويبدو أنه ربما تعلق بصبى، أو شاب يكبره فى السن بشكل عاطفى مؤثر، ولما نضج وكبر فى السن ظل تأثير تجاربه الحياتية السابقة عالقاً به، ومن هنا فإن مشاعر الحب بالترابط مع الأولاد فى المراحل الأولى من حياته استمرت معه لاحقاً، لكنها تحولت الى أولاد آخرين، وتكونت وتشكلت بحيث صارت هى القوة الأكبر التى حركت حياة هاملتون، بحيث صارت كل نشاطاته واهتماماته فى الحياة تتركزحول التغذية وتقوية تلك الرغبة فى أن يظل بين ومع الصبية.

*** سر خطاباته!**

إن خطابات هاملتون لبعض الآباء فى بلدة (دنبلين) أوضحت كيف صار الرجل فى حاجة أكثر لهم (لأولادهم)، وكلما أصبح أيضاً ناقداً لتصرفاتهم وناقماً عليهم، كان يحلم ويتوقع منهم أن يرتفعوا فوق مستوى

الشائعات، وأن يرونه فوق مستوى الشبهات، وأن يعترفوا به كبطل وقائد مضحى من أجل الأولاد.

كتب هاملتون فى أغسطس عام ٩٥ لأحد الأسر قائلاً: "إن تلك الإشاعة، وذلك الهمس ليس له أساس من الصحة، إنه عار، ولقد تم تداوله عن عمد للإساءة إلى".

وعلى الرغم من كل توسلات هاملتون أصر الآباء فى (دنبلين) على إبعاد أولادهم عنه، وبالتالى أصبح أكثر إحباطاً، وانعكس ذلك فى رسالة منه إلى وزير شئون إسكتلندا شاكياً فيها من أن عدد الأولاد فى ناديه قد انحسر وصار خمسة بعد أن كان سبعين! قال الرجل: إنه ليس شاذاً جنسياً، وأنه عشقه للصبية ماهو إلا مجرد حب برئ؟! لقد كان هاملتون، وعلى مدى عشرين سنة موضع شك وشكاوى وتحقيقات، والذى لم يثبت عملياً أنه تورط جنسياً، لكنه كان مهتماً بالأولاد اهتماماً جنسياً غير عادى، بمعنى أن حالة الوجدان والعاطفة بين رجل غريب، وصبية آخرين هى حالة غير مفهومة، وغير مفسر، وليس لها معنى سوى أنها غير سوية بالمعنى المجازى، أى أنه استغل الصبية لإشباع رغباته النفسية الجنسية دون الحاجة الى ممارسة جسدية جنسية، ولقد كانت تلك الرغبة جامحة جارفة عنيفة عارمة الى حد أنه مع فقدانه لموارد مادية ولاعتباره النفسى لم يتخل عن حبه للأولاد، و لم يستطع الانفصال عن "صبيانه".

فى ذلك الصباح المشئوم صافح جيرانه، وجهه المبتسم فى هدوء لم يكن كما كان قلقاً بما يخص انعزاله واتهامه، رفع هامته وشق طريقه إلى مدرسة دنبلين الإبتدائية، كان من الممكن أن يقتحم أى فصل دراسى، و لم يتوجه إلى صبية ربما أثاروا رغبته وحسه الجنسى، لكنه توجه إلى صالة

الألعاب الرياضية (الجمتريوم)، والمكان هنا له دلالته وأهميته، فهو الذى كان يضمه وصبيته، وهو الذى شهد على قيمته، وهو الذى أتاح له إرضاء شهوته وعاطفته المتأججة، وهو الذى فيه كان ماكان قبل أن يحرم من كل ما اشتهاه، واندفع إلى أطفال مابين الخامسة والسادسة من العمر، ولم يكن مجنوناً يصرخ ويطلق النار فى كل اتجاه، لكنه كان يقتل بحرفة ودقة من حضر وأعد للأمر منذ زمن، ولما رفع مسدسه لقتل الطفل الأول لم يحس بأية عاطفة غير الغضب، ثم حركها للطفل الثانى، وأطلق النار بسرعة، مرة أخرى حسب منهج محدد بدقة، لم ير هاملتون الأطفال بعينى بشر، كان يتخيل الحزن والأسى، والألم والحسرة فى كل أسرة رفضته ونبذته فى دنبلين، لقد كان متأكداً أنهم يستحقون ذلك، كان هاملتون يرتدى سدادات للأذن تمنع عنه الصوت: الدوى والصراخ والعويل، حتى لاينصرف الى غير مهمته، وحتى ولو إلى درجة طفيفة يسمع أنين الأطفال وهم فى حشرجة الموت.

كان هاملتون عارفاً، مخططاً، متأكداً من أنه سينتحر فيما بعد، لقد أثبت أنه فى موقع التحكم والسيطرة، لم يسمح لأحد بأن يحاصره، أو يقتله.

ربما أراد الناس أن يروا مجنوناً مختلاً عقلياً مريضاً بالاضطهاد الذى دفعه الى تلك الفعلة الشنعاء، كان يريد بقتله الأطفال الأبرياء قتل رجال المجلس المحلى، المدرسين، رجال الشرطة، مسئولى الكشافة، إنه وجه ضربته إلى من آلموه جداً، الآباء فى دنبلين، أن يحرمهم ويحول حياتهم أبد الدهر الى عذاب، أن يأخذ أولادهم الى الموت، معه، طالما أنهم لم يمكنوه منهم أحياء.

التحليل النفسى لقاتلة زوجها فى مدينة السلام"[18]

وكما نحاول أن نأخذ التاريخ الطبى النفسى للحالة فهى (بنت عاديه) لكن (أبواها غصبها على الجوازة)، هذه هى بداية الشؤم والاضطراب، الغضب والسخط وعدم الرضا، فممكن أن تغضب البنت على لبس معين، على تعليم معين، على أكل. لكن على جواز ؟ لا.... دى عشرة وجنس وملاصقه وحياة. الغضب فيها زناد يضغط عليه ليفجر بركان الغضب. والسؤال الآن هل كل بنت تغضب على ذلك تقتل؟ بالطبع لا. لكن من المؤكد أن كل بنت تغضب على الزواج وتُكره عليه، تكره الزوج والزواج وتسعى إلى الهروب منه ، لكن هل كل المُكرهات على الزواج يتحالفن مع عشاقهن ليقتلن أزواجهن؟ أم أن المسألة أبعد وأعمق بل وأخطر من ذلك؟! "ميدو" العشيق الميكانيكى كانت تحبه الزوجة قبل زواجها من المجنى عليه،كانت تتردد على المحل الذى يبيع كروت وإكسسوارات الموبايل. هناك إهمال من (طارق) الزوج فكانت الزوجة تلجأ إلى شقة أبيها ثم خالتها التى لم تعترض على لقاءاتهما السرية نظير النقود والهدايا ؟! وتتابعت القصة بدس الحبوب المنومة فى الشاى للزوج الذى فقد الوعى. خرجت الزوجة لترضع ابنتها. عادت إلى غرفة نوم الزوجية بعدها بربع ساعة وجدت العشيق "ميدو" يخنق زوجها بالإيشارب، قتله، صرخت الزوجة، دخل القاتل إلى الحمام، توضأ، ثم صلى؟! وأستغفر ربنا! ثم بكى بشدة، وجاء على صدرى، ثم مارس معى الجنس كل هذا على رأس الجثة. تتابع (مجنون) بالمعنى (الذهانى) أى (الاضطراب العقلى الشديد على رغم وضوح الخطأ من الصواب ورغم أن النية كانت مبيتة، وضوء، صلاة، استغفار للرب، بكاء،

---

[18] المؤلف ، مجلة روزا اليوسف ، مصر ، أغسطس ، ٢٠٠٤.

كالطفل يجيئ على الصدر، ممارسة الجنس مع العشيقة زوجة القتيل، على سريره، وهو ملقى على الأرض جثة هامدة. مسألة مرعبة للغاية لابد من استكمال حلقاتها بأن القاتل بجانب شخصيته السيكوباتية القميئة غالبا ما كان تحت تأثير المخدرات، ثانيا تواضع مستواه الفكرى والنفسى للغاية، فلا يهمه من أمور الدنيا إلاّ الفلوس، شراء اللذة المحرمة، الترتيب والتدبير وتلك الرغبة الجامحة الجانحة لممارسة طقوس تتعارض مع الحالة ومع الحدث هنا العنف القذر الناعم المسحوب (تخدير ثم خنق) وطقوس لف الجثة فى الكوفرتة، وكأنه فى حالاته التى تبدو طبيعية للناس وأنه يدخل فى إطار (الفانتازيا المريضة) وكأنه يمثل فيلماً ويقوم بأدائه فى صمت. منتهى التناقض الذهنى والوجدانى والمعرفى، وكأن القتيل بالنسبة له كاللعب بدمية. أوكأنه يستخرج دميته -لعبته عروسته- من البنى آدم حاملا معه كل الخيالات الشاذة والمريضة والمثيرة للاشمئزاز،وكأننا أمام فيلم رعب فظيع. وهكذا كان (ميدو) الذى دلع نفسه وخلق من فقره النفسى عالماً ثرياً حافلاً بالمثيرات وضعها كلها فى الحدث الغريب للغاية فهو أمام لعبة — بنى آدم - يسخر منه يمارس الجنس على سريره ومع زوجته وهو فاقد الحياة مسجى على الأرض للأبد، وكأنه يلعب، وكأنه قط شوارعى مجرم اصطاد فأرا أنيقا أبيض تسلّى به بعد أن قتله. وهناك من علماء النفس التحليليين وعلماء الجريمة من يقول إنه فى العقل الباطن لكل بنى آدم ترقد روح القاتل.

لكن ماهو الطبيعى والشاذ فى إطار كل ذلك، أحيانا يكون من الصعب جداً فهم مسألة القتل فى إطار الجنس والوضوء، والصلاة، وكأنها التأرجح بين حالتى الملاك والشيطان، وكأنها الفانتازيا السادية (التى تستمد متعتها من العنف والعذاب والألم) هنا أيضا لا يجب أن ننسى ذلك الإحساس الاضطهادى المتكوّن والمتحوصل داخل ذات (ميدو) بعد أن

تزوجت حبيبته. وهكذا فكان الأمر بالنسبة له ليس أن ينتقم من طارق الزوج بقدر ما يمارس طقوساً غريبة الشأن تدل على تصدع الأنا وتشقق الذات وتفتتها، مما يدعو إلى تأمل علاقة الثلاثى: القاتل، المقتول، والعشيقة -زوجة المقتول-، والتى (كده دون خوف) نامت مع عشيقها مارست الجنس برائحة الموت على سرير المقتول،وكأنها التراجيديا الإغريقية النارية تزيد تعقد النفس الإنسانية، تربكنا وتتركنا حيارى داخلياً وخارجيا. وكأنه هوس مركب من نوع الاضطراب النفسى الجنسى، العدوانى الشديد والمرتبط بالجنس الفاحش بشكل مرضى (Psychopathic Sexualis).

ما بين "أرخص الليالى وأغلاهـــا (إدمان الجنس والموت)"[19]

عندما كتب يوسف إدريس (أرخص ليالى) كان يتحدث عن قرى بلا كهرباء وبلا (دش)، وعمل ينتهى بانتهاء النهار..ولقاءات ممتعة بين الأزواج فيها اقتراب وحميمية .. وجنس رائع، لم يدر بخلده أنها ستكون فى الألفية الثالثة (أغلى ليالى) بمعنى ثمن الفياجرا، وإرهاق العمل، واستخدام الجنس كمتنفس فى ليل منهك يجئ بعد نهار ملئ بالإرهاق والإحباط للزوج وللزوجة.

يقول الخبر: قامت ربة منزل (نجوى أ. ع) بقتل زوجها بسبب شجارهما ولاعتياده على ممارسة (حقوقه الشرعية) فى الأيام الأخيرة بشكل يومى، لتناوله منشطات، مما أرهقها جسدياً، فاضطرت إلى طعنه بسكين بعد رفضها لمعاشرته، ولضربه لها بشكل جنونى. (محمد الغبيرى — ١٢/ ٧/ ٢٠٠٤) أدمن الزوج الفياجرا، أصر على معاشرتها جنسياً بعد الانتهاء من عمله وعودته فى منتصف الليل. بعد استسلامها للنوم- بعد عناء يوم شاق فى خدمة بيتها وأولادها- ازدادت رغبته فى (ممارسة الجنس) على خلاف ما اعتاد عليه فى السنوات العشر الماضية منذ زواجهما، اعتاد الحصول على (حقوقه) ونزواته بوحشية وحيوانية لم تطق ممارستها. عاد الزوج، أيقظ زوجته لإعداد الطعام أثناء استحمامه، وعند خروجه حاول أن ينال منها لكنها نهرته بشدة فاعتدى عليها وحاول اغتصابها، تعالت صرخاتها حاول كتم أنفاسها(خشية استيقاظ الجيران) ثم انهال عليها ضرباً، فأسرعت نحو

---

[19] المؤلف ، روزا اليوسف ، ٢٠٠٤.

المطبخ وأحضرت سكيناً وقامت بطعنه عدة مرات حتى مات، ثم قامت بسحب جثته، وألقت بها أمام المترل (حيث تقطن بالطابق الأرضى). تلقت مديرية أمن الغربية بلاغاً بالعثور على جثة محمد قناوى (٤٥ سنة)، وألقت القبض على الزوجة.

لنا أن نتأمل الخبر – الحادث – بشكل تحليلى فهناك (الشجار الدائم) وهناك (عمل الزوج حتى منتصف الليل) و(عمل الزوجة فى خدمة البيت والأولاد طول النهار)، هناك إجهاد لدى الزوجين، وفقدان للوقت والحب والعشرة، وهناك حياة جنسية عادية لمدة عشر سنوات زواج. ثم فجأة لجأ الزوج إلى (الفياجرا) ربما لبث الثقة فى نفسه، ربما للتسلية، ربما لثقافة روجها له زملاؤه، وربما للتمكن من ممارسة يوميه غالباً (دون متعة)، لكن لتفريغ الإجهاد، هناك تناقض شديد بين ضياع الوقت وتمزقه، وحالة (الشجار الدائم)، هل هى حقوق الزوج فعلاً؟! وأين هى حقوق الزوجة، وما هو معنى الحقوق الزوجية (أليست للطرفين سوياً؟)...

العنف المترلى، هو يأتى بعد منتصف الليل حتماً مجهداً – ربما مثقلاً بالهموم –يوقظها من نومها (دون أى مراعاة لحقها فى الخلود إلى الراحة) ... يضربها ويكتم أنفاسها لتفادى الفضيحة :عنف جسدى وجنسى ينتهى بها إلى قتله تخلصاً من آلامها ولضعفها تجاه تحولاته النفسية، ورغباته الاصطناعية.

الفياجرا عقار مهم عالج حالات كثيرة، لكنه يتحول إلى عقار خطر فى أيدى من يستخدمونه لإثبات الفحولة، وإلى إطالة مدة المعاشرة دون أى مراعاة للطرف الآخر، والفياجرا يمكن الإدمان لها لسببين: إن الرجال الذين تعودوا على استخدامه باستمرار (يومياً) مثلاً قد رغبوا مسألة

البحث عن المتعة فى الحبة الزرقاء، وأن الحياة الجنسية بدون العقار قد تصبح سخيفة وعادية (مثل حلاقة الذقن حسب قول أحدهم). مع بعض الرجال يصبح أدائهم الجنسى مرتبط بالفياجرا، وينخفض مستوى الأداء مع مرور الوقت ويرتبطاً به ارتباطاً شرطياً وعضوياً فيحتاج إلى زيادة الجرعة، وقد لا يتمكن من الانتصاب إلا بعد ابتلاع حبّة.

وقد تكون المسألة نفسية بحتة اعتقاداً من مدمن الفياجرا أنه سيفشل بدونها فيتفادى عدم أخذها، ولا يرغب بل يخشى ممارسة الجنس بدونها.

العيادة النفسية الجنسية مليئة بالحالات التى يمكن أن نطلق عليها (الإدمان الجنسى) أو (إدمان الجنس)، فرجل متزوج وله من الأولاد ثلاثة يمارس العادة السرية بعد معاشرة امرأته، ثم ينطلق عبر الإنترنت ليمارسها مرة أخرى مع المواقع الإباحية ولا يتوانى عن البحث عن (صديقة) يشبع معها رغبته فى الطريق العام (سطحياً) دون التورط فى زواج أو غيره. وآخر تركته زوجته لإصراره على الممارسة يومياً بشكل عشوائى يفتقد إلى التواصل والحميمية، ثم تزوج من أخرى جميلة ومحترمة، ووجد نفسه خائفاً يهمهم (أشعر بفقدان لحياتى) (بدأت أنحرف وبدل ما أقيم علاقة واحدة خارج الزواج أقمت ثلاثة، وأحادث رابعة حديثاً جنسياً فجاً عبر التليفون.

إدمان الجنس لايزال تشخيصاً حذراً يحتاج إلى دقة لكن هل يمكن الإدمان ــ حقاً ــ على الجنس، فالجنس يبدأ من المخ - من الخيالات والتصورات - الرغبات والأمانى، وغالباً ما يكون هناك استعداد بيولوجى للإفراط فى الممارسة الجنسية وإدمانها وهنا يجب التفريق بين التعبير الإنجليزى: ممارسة الحب Making Love)، وبين (ممارسة الجنس

Having Sex)، ويقولون لا حب حقيقى بدون جنس لكن من الممكن التعاطى مع الجنس بدون حب.

ومما لاشك فيه أن السلوك الجنسى قد يصبح نوعاً من الوسواس القهرى، بمعنى (سلوك جنسى يتخذ شكل الوسواس الذى يقهر صاحبه ويتمكن منه فيصبح عبداً له)، ويعتقد أن الحافز لهذا السلوك (عصبى) فعندما نثار يتدفق (الأدرينالين) ويرتفع مستوى (الإندروفين) — هرمون البهجة والنشوة والمتعة) فى الدم.

كما يتحول مادة الدوبامين إلى حافز فكرى أساسى مما يؤدى إلى زيادة وطفرة فى مادة (السيروتونين).. المادة الأساسية للمزاج، والمفتقدة فى معظم حالات الاكتئاب. الإنسان (العادى) يمكنه التحكم فى رغباته لكن (الموسوس جنسياً) لا يتمكن من ذلك فيثار بسرعة وبشدة ولا نستطيع التفكير فى أى شىء إلاّ إشباع رغبته الجنسية.

الرجل الصحيح نفسياً يكون هدفه (المتعة الجنسية) بينما (مدمن الجنس) يكون هدفه القهرى هو أن يظل مثاراً لأطول مدة من أجل تفادى أى انهيار نفسى، كيميائى أو معنوى.

لكن ترى ما هو التعريف العلمى للإدمان على الجنس؟

إنه تلك الحالة التى يفرغ الناس فيها أحاسيسهم ويتعاملون مع (الإجهاد العصبى) — مثل حالة القتيل محمد قناوى — بالراحة الجنسية المفتعلة وكأنه يتناول مهدئاً أو يمارس السباحة مثلاً.

هنا يصبح الجنس أهم إن لم يكن العنصر الأوحد لتفريغ الإجهاد والتوتر وحلّ مشاكلهما.

وغالباً أن المدمن على الجنس لا يتمكن من التوقف عن عاداته بمفرده، وهو كذلك يقضى وقتاً طويلاً فى خيالاته وسلوكياته ذات الطابع الجنسى.

لكن لماذا يصبح البعض مدمناً على الجنس؟

بالطبع فإن كل حالة تختلف باختلاف صاحبها، لكن هناك أسباب بيولوجية تحدثنا عنها سابقاً (بمعنى استعداد كيميائى عصبى متعلق بمراكز الشهوة) بمعنى أن الجسم مستقبلا (للإنكافيلينات Enkephalins) : كيميائيات المخ مبدئياً من خلال تعزيز (حالة التخيل) المرتبطة بعملية القذف المسئولة عن إفراز تلك المواد فى المخ. سيكولوجياً فإن الحاجة إلى الهروب (جسدياً)، (انفعالياً) أو بسوء استخدام الجنس الطبيعى مثل إدمان المخدرات فالبحث عن (المخدر) يوازى البحث عن (الجنس).

هنايبرز سؤال مهم: تُرى ما هو الفرق بين ارتفاع معدل الطاقة الجنسية عن الطبيعى وبين الإدمان الجنسى؟

الإنسان (رجلاً كان أم امرأة) بطاقة جنس عالية يشبعون من الجنس لكن المدمن عليه لا، فالإدمان على الجنس حالة من الهوس تسيطر على (المدمن) ولا يتمكن منها فكاكاً، ولا يقبل أن ترفضه زوجته إطلاقا تحت أى دعوى مثل الحالة التى شرحناها فى بداية الدراسة، أما أغرب الحالات فهى تلك التى يدمن فيها (العازب) على الجنس (دون نساء) بمعنى أنه يفقد شهيته الجنسية الحقيقية، ويستبدل الممارسة الجنسية بعالم من الخيال

(جنس متخيل مع أخريات شهيرات أو مفترضات). ما هو شكل حياة الزوجة مع زوجها الذى أصبح مدمناً جنسياً عادة تكون عذاباً وإرهاقاً وشكلاً ميكانيكياً للعلاقة الحميمة يشوبها إحساس شديد بالوحدة (حتى وهى وسط الآخرين) لا تتمكن من إخبار أى أحد (فالموضوع حساس وجارح) لهذا فجأة يمكن أن تنفجر وتسحب السكين وتقتل، وترمى بالجثة إلى عرض الشارع!!

ويتملكها شعور غريب باليأس وعدم القدرة على التأقلم مع الواقع المعاش فى حياة محورها (الغضب) . تحكى إحدى النسوة أن زوجها فى البداية عانى من بعض الضعف، فغالباً خاف ولجأ إلى (الفياجرا) وأصبح يمارس معها الجنس كل ليلة لأكثر من مرة حتى صارت تبكى وتنزف،وكأن أيضاً يوقظها من نومها ليمارس نشاطه الليلى فصارت له جسداً بدون روح وأخيراً انفصلت هربت إلى بيت أبيها طالبة الطلاق. الزوجة فى مثل تلك الحالات تفقد قوتها وقيمتها وتكون تحت رحمة الزوج المدمن جنسياً وتحت سيطرته.

الإدمان على الجنس مشكلة قديمة تاريخياً وضحت صورتها منذ حوالى (٣٠ سنة) فقط واتخذت شكلاً علمياً أكبر فى أواخر السبعينيات عندما بدأ "باتريك كارنر" الباحث الأمريكى دراساته وهو يقول (على عكس الاستمتاع بالجنس كمصدر للمتعة الجسدية فإن مدمن الجنس يعتمد على الجنس ليرتاح من ألم، ومن توتر وإجهاد ومن خلال بحث على (١٥٠٠) مدمن جنسى فى الولايات المتحدة وجد كارنر حوالى (٨%) من الرجال فى أمريكا كانوا مدمنين جنسياً فى مقابل (٣%) للنساء). (بمعنى أن ١٥ مليون امرأة ورجل يعانون من تلك المشكلة).

فهل نحتاج إلى بحث مصرى يتعمق فى قضايا العنف والجنس؟! هل نحتاج إلى ترشيد استخدام المنشطات الجنسية، هل نحتاج إلى توعية أكثر بالمشكلة والقضايا الأخرى التى تغفاها. وهل نحتاج إلى وقفة مع الثقافة الشعبية ومحلات العطارة والمفاهيم المغلوطة.. نعم بلا أدنى شك!

مما لاشك فيه أننا أمام ظاهرة مقلقة ليس هناك داع للتخفيف منها أو إهمالها تحت دعوى ألها ظاهرة، وأيضاً لا داعى للاستخفاف بها عن طريق المداعبة والتنكيت، ولا داعى أيضاً للتضخيم منها فينتشر الذعر بيننا، ونصرح باننا مجتمع عنيف وعلى الأزواج أن يحملوا مسدساهم تحت وسائدهم، وأن يخفوا السواطير، وأخبار القتل عن عيون زوجاهم، ولا داعى أيضاً لأن نلوى ذراع هذه الأحداث فنسقط عليها الأساطير مثل إيزيس وغيرها فتصبح مادة غير مقبولة لحوار غير منطقى.

علينا أن نحدد المسألة وان نرى ألها ظاهرة تطفو وتختفى على سطح هذا المجتمع الساخن فالتاريخ يعلمنا أن أحداثاً مشابهة قد حدثت فى أوقات متفاوتة لكن تفاعلات المجتمع والرأى العام وأجهزته بكل منها اختلف باختلاف العصر والشكل الاقتصادى والسياسى، والنفسى والاجتماعى لمجموع الناس فى جميع أرجاء الوطن.

يجب أيضاً الحذر من الإفراط فى الحديث عن المشكلة حتى لا نبدو أمام قرائنا فى الدول الأخرى خارج مصر، وكأننا شعب معظم زوجاته قاتلات كما ساهمت من قبل أفلام الفيديو والسينما الرخيصة فى إظهارنا بشكل مستخف راقص وأحياناً مبتذل وهى أشياء حساسة ودقيقة يدركها بعمق العاملون والعاملات خارج الوطن المصرى والمحبون له دوماً والعاشقون لصورته النزيهة دائماً.

وإذا جاز لنا أن ننظر إلى المجتمع البريطانى لرأينا أنه فى بداية الثمانينيات اهتمت الصحافة بالطبع بعد اهتمام الشرطة بظاهرة "انتهاك

الأطفال" من قبل الكبار ولأن الاهتمام صار واضحاً على شاشة التليفزيون وفى كل الصحف تقريباً، فإن ثمة وعياً بالمشكلة نما وتحدد وبدأ الناس يبلغون عن كل الحالات دون خوف ودون خجل وبرزت للعامة صور مأساوية، وتورط فى الاعتداء والانتهاك رجال من الكبار وظيفة ومقاماً لا نخجل أن نقول إن منهم أطباء ومحامين فأخذت المشكلة حيزها من النقاش وانتهت وتلتها مشكلات اجتماعية أخرى. إذا فهى النفس الإنسانية فى ارتباطها الوثيق بالمجتمع حولها بتغيره بسرعة تكوينه بتحولاته وهى المرأة المجروحة القاتلة، المنتحرة، المكتئبة، النادمة، الباكية، وهى المرأة المحبة (لأن الكاره لا يقتل) وهى بنت مجتمعها وأسرتها، وما تقوم به ليس نتاج ما يتفاعل فى رأسها أو جسدها فحسب، إنه استخلاص المدرسة والشارع، والتقاليد كذلك، انه الجذور المسئولة عن النبت والساق والأوراق والثمار والزهور، وهى المرأة أيضاً كما تدلنا الأبحاث العلمية أكثر عرضة للإصابة بالمرض النفسى أكثر شفافية، أكثر رقة، وأكثر عنفاً حينما تحتدم الأمور. فإذا حللنا باختصار حالة الهرم لوجدنا أن التسلسل الزمنى (الكرونولوجى) للتاريخ الحياتى الأسرى يدلنا على نمو مادى أدى إلى تحسن معيشى وثراء محدود نعم به الزوج أساساً، كادت تكون ثمرته الارتباط بزوجة أصغر، وعدم الالتفات إلى الأم التى ربت خمسة فتقدمت فى السن ناهيك عن أهم الأمور وهى الهجر الزواجى والرفض والنبذ وعدم الاحترام والطلاق العاطفى يقابل كل هذا فى حالة الإسكندرية استغلال نفسى ومادى قاس، ومتورط ومتبجح وغير عابئ بأبسط المشاعر الإنسانية وهكذا فإن المادة والتواصل تسببا سلباً وإيجابا فى دفع المرأة إلى الانتحار بقتل من تحب، وهو قتل ممتد للنفس لأن القاتل هنا غير القاتل السيكوباتى مضطرب الشخصية الذى يقتل للسرقة أو للمتعة او لأى غرض آخر دون إحساس بالذنب أو الندم.

نعود إلى المرأة القاتلة ونود أن نوضح أن ما ذكراه ليس دفاعاً عنها بقدر ما هو دفاع عن الأسرة، وعن الرجل، وعن الأولاد، وعن المجتمع من اجل مستقبل أفضل، وليس مثيراً للضحك أن يقول أحد الأزواج بعد تلك الحوادث إنه قد حسن من معاملته لزوجته جداً، لسنا بحاجة لأن نقرأ أخبار قتل الزوجات للأزواج حتى نحسن من علاقاتنا ببعض ككل كزوجين، كرفقاء عمل، كجيران، كأصدقاء حقاً تطحنها ظروف الحياة وتقسو علينا لكننا لا يجب أن نسمح أن تقتل فينا الأشياء الحلوة قبل أن تقتلنا، لنا ان نكون طموحين دون جشع أن نكون محبين دون إفراط، أن نعمل ونعرق ونكد دون أن نهمل بيتنا وأسرتنا وفلذات أكبادنا، فلا خوف ولا فزع بل حرص وبحث عن الإنسان داخلنا عن القيمة لا المادة عن القناعة والبساطة والاستمتاع بما هو متاح عن التواصل لا الجفاء وعن الشفافية والسمو لا التوحش والتدني تحت وطأة كل ما هو ضاغط ومرهق ومستفز.

الفصل الثالث

اغتصاب وشذوذ

الأبعاد النفسية لانتهاك الأطفال جنسيا"[20]"

أثارت حادثة انتهاك الأطفال جنسياً فى حضانة المعادى وغيرها، بصرف النظر عن الأبعاد الكثيرة التى تناولتها الصحافة مؤخرا لأننا بصدد (مرض جنسى) موجود فى كل أنحاء العالم لكن نظرا بالطبيعة الخاصة بنا فإن ثمة أبعاداً يجب توضيحها فيما يخص الرجال المصابين بهذا المرض دون سواهم ، التنكر، الإنكار ، وبالتالى التغطية، ونزع الحساسية عنه مما يوحى بأن الأمر عادى ، ومجرد ظاهرة ليس فيها ما يشين ، ومن ثم ليس مرضا يستحق العلاج .

كما أن هناك حالات يتم فيها الاغتصاب من أكثر من رجل لطفل أو مراهق ، وهم تحت تأثير الخمر، وعندما يفيقون، ويدركون بشاعة الأمر غالبا ما يقتلون ضحيتهم.

حينما يتم انتهاك الأطفال جنسيا أى اغتصابهم قهرا وعنفا ، تنتشر الضحايا المشوهة نفسيا ، جنسيا ونفسيا فى أرجاء الأرض يعيثون فيها فسادا ، ينتقمْون لكيانهم المجروح بالعبث بأعراض الآخرين منتهكين حرمة الأطفال ، بنفس الطريقة التى ربما أُنتهكوا بها ، كما قال لى أحد الضحايا المرض : إننى أكره البشر أجمعين ، كلهم ، ولا أثق فى أى منهم ، وأود الانتقام بشتى الطرق من كل من تتاح لى فرصة الاختلاء به ، وبصرف النظر عن طبيعته ، جنسيته ، جنسه ، ودون التفكير مطلقا فى جدوى العالم الغريب والمتشابك، والمعقد من الثروة الزائفة ، والمظاهر الكاذبة ، القهر المعنوى ، التسلط ،

---

[20] نشرت للمؤلف ، صباح الخير ، مصر ، ٢٠٠٧.

العنف اليومى ، الجنسيات المختلفة ، إلى العالم الحقيقى حيث يعيش الناس فى حياتهم اليومية بكل ما يشوبها من مشكلات وأخطاء ..

نعم انتهاك الأطفال والاغتصاب الجنسى يتم يوميا فى كل أنحاء العالم، ويتعامل معه أطباء النفس الشرعيون، والأطباء، وعلماء الاجتماع والمسئولون، ورجال القانون - حتما ـــ بشكل مختلف تماما عما يحدث عندنا . إننا أمام ظاهرة شاذة فاقت التشخيصات والتصورات من إرهاب المعلم والمربى وهتك أعراض الأطفال.

هناك بالفعل نوعان من أنواع الانتهاك الجنسى للأطفال نوع يتعلق بالهوس ، بالحرية الشديدة المتاحة ، بالانحلال ، بعكس ما يعتقد أنه نتيجة الكبت والقهر.

هناك منطق القهر التلذذ بالانتهاك، السيطرة، القوة، القسر، العنف، المدرس أو (المستر) تكون سيطرته على رغباته مفقودة فى إذلال الإنسان والحضارة والاعتداء الجنسى على الأطفال يأتى من تحرر شديد فالنساء متاحة والدعارة متاحة السؤال الآن لماذا ؟! وهناك كل العوامل والانفتاحات ، لم التوجه نحو طفل برىء لهتك عرضه ثم جلد أبيه ؟.. إن المسألة فى رأيى تتعلق بالمجتمع ككل والتغيرات الرهيبة التى حدثت فيه مما أثر على تركيبته ،

إنها نوع من (الفيتشية) التعلق الجنسى المريض بشىء يكون هنا (الطفل)أم أنه مرض نفسى جنسى آخر يصطلح عليه بال (بيدوفيليا PAEDOPHILIA) وهو الشذوذ الجنسى الذى يقوم على أساس تحقيق النشوة عن طريق الاتصال الجنسى بالصغار وهناك نظريات علمية تفسر هذا الفعل الغريب أهمها ما يسمى بـــ(العقدة اللب CORE COMPLEX)

حيث هناك داخل كل فاعل جنسى بالصغار ، يرقد فى تكوينه النفسى مكونات وعوامل تستقى أطوارها الأولى من مراحل نموه البدائية (وهذا ما يجعل أمرا مثل ذلك منتشرا ومقبولا ، مليئا بالغموض وبالتخفى ، وبالإخفاء وبالفرحة ، بالتلذذ ويكون جزءا من التكوين النفسى، والاجتماعى والثقافى لتلك الشعوب فى الجزيرة العربية) بمعنى أن الأم، والأب، والمجتمع ، المدرسة (ناظرها ومدرسيها) يطبعون الأسس الأولى لتطور الإنسان ونمو شخصيته والثمرة تظهر فى ممارساته المختلفة بدءا من سن المراهقة وحتى مماته ، فهو هنا تحديدا ، مضطرب وجدانيا ، مشحون بانفعالات شبقيه تسيطر عليه بشدة ، تهيمن على تفكيره، توحى إليه بضرورة أن " يمتلك، " أن " يحتوى " أن " يتلبس " ذلك الطفل أن يخترق كيانه وأن يؤدى هذا إلى انسحابه إلى داخل نفسه المعذبة (غالبا أنها عذبت فى طفولتها بالحرمان من الحنان ، وعذبت فى مراهقتها بتناقضات الأشياء وصلف المجتمع ، غياب القدوة ، وانعدام الصدق ، وسيطرة التخلف بكل أبعاده) يؤدى كل هذا إلى حب مرضى للذات ، نرجسية فظيعة ، تحوى فى طياتها كآفة، وفقر نفسى ووجدانى ، ضعف فكرى، وإحساس دفين بعدم الأهمية بالوضاعة واحتقار الذات (الثروة والجاه من حولك ، الناس فى العمل يحترمونك ، لكنك ، أمام نفسك مجرد حشرة ، حينما تنظر إلى المرآة تتذكر كيف ربتك الخادمة الآسيوية ، وكيف أغتصبك جارك أو خالك أو ابن الحى الأكبر ، وتتذكر أنك على الرغم من نجاحك الوظيفى تدرى فى أعماقك أنك وضيع ، لاشيء ، حتى فى تلك اللحظة التى تنام فيها مع زوجتك فى الليل تقوم بواجبك بآلية رتيبة تسكب فيها ماء الحياة دون تلذذ لا يكون إلا بالسيطرة على الآخرين ، باختراقهم ، بتملكهم وبإبادتهم ، نعم ، حتى أتمكن من التعويض).

خلال عملى كطبيب نفسى ما يفسر على الرغم من عكس ما قد يعتقده البعض فإنه يعانى هؤلاء الرجال / نصف الرجال / أشباه الرجال من العجز الجنسى والرغبة العارمة فى التفوق والانزعاج الخائف والعبيط لفقدان القدرة الجنسية ربما لأنها هى كل ما بقى على رغم من العز والجاه لأنها الرمز الوحيد الحى المليء بالدماء والمنتشرة فيه الأعصاب الذى يدل على الحياة وعلى إمكانية السيطرة على الآخرين ، على الأطفال ، على أحداث الألم وإحداث الضجة أو شراء الصمت ونشر القسوة .

العامل الآخر والهام الذى يعانى فيه الإنسان ،الخوف من الآخر الغريب ، العدوانية تجاهه دون ما سبب ، فقدان التماسك الأسرى والسلام الداخلى لماذا لابد من العدوان عليه؟ ، من تحطيمه تماما ، هذه العدوانية تأخذ الشكل الجنسى ، ومن ثم تتحول الرغبة من التدمير إلى إحداث الألم ، التعذيب ، الانتهاك ، القهر ، وهى (سادية) بذور العنف البشرى الخالص

كل هذه الرؤى والأحاسيس ، تلك الرغبات العنيفة والخوف المرضى من الفناء ، من الحرمان ، هذا التقوقع النرجسى المريض المقرون بالاكتئاب الحاد واحتقار النفس ، ، ثم تلك العدوانية البشعة وما هو أبعد منها : التلفيق ، التواطؤ ، يكاد يتلخص فى (التلذذ الجنسى بإحداث الألم وبالإحساس به — الساد وماسوشية SADOMSOCHISM) كل تلك المكونات وعناصر الطبخة البشرية المتحركة تحت غطرة وعقال بأكثر من ألف وجه متغضبن وتحت غطرسة مادية وتكييف هواء وخواء داخلى منقطع النظير .

إن الشاذ جنسيا، المنتهك أعراض الأطفال، بنرجسية الشديدة ، بحبه، وهو يعدل من وضع الغطرة متلفحا بالعطور الهندية كأنه السيد المطاع يبحث عن ضحية يغرق فيها نشوته التي هى ليست جنسية بقدر ما هى شخصية، إنه يحاول تحقيق ذاته عن طريق انتهاك عرض طفل ، يرضى غرور ذاته المشروخة دون الاعتبار لفردية أو إنسانية ضحيته ، أى نوع من البشر هذا ، أقرب إلى الحيوان الذى يروع ضحيته من أجل أن يشرب دماءها أو أن يلجها فقط من الخلف .

إن الفقر فى العلاقات الإنسانية ، وعد القدرة على التواصل الاجتماعى ، وانعدام الحياة بشكلها الطبيعى من لقاء وتبادل معرفة وانسجام واختلاف يعود بالإنسان إلى بدائيته، إلى أن يكون الإنسان الأول مع الفارق ، هذا الوحش الإنسانى الحالى ، هنا تكمن حدة الصراع النفسى وتعلى درجة توتره وتزداد حدة انفعاله ، هو خائف من فقدان تلك الأشياء وهى أيضا من أسباب تعاسته لأنه وبسبب طفولته وتركيبته ، بسبب مجتمعه وترتيباته ، بسبب نشأته وتربيته لا يتمكن من تحقيق التوازن النفسى اللازم للإنسان الطبيعى، هذا الإنسان شاذ بكل المقاييس وانتهاك عرض طفل ما هو إلا عرض من أعراض توتره الاجتماعى ، انفصاله عن ذاته وخوفه الشديد من نفسه ومن الآخرين .

وكما ينتهك الطفل الذكر من الرجل الشاذ يُنتهك أيضا من المرآة المعقدة التى لها نفس صفات الرجل الشاذ التى ذكرناها سابقا غير أنها تغتصب طفلا فى الثامنة بتعريته وضغطه على جهازها التناسلى بشدة وبوقاحة إلى درجة عبر عنها أحد الضحايا قائلا (كنت خائفا إلى درجة

كبيرة ، أحسست بالرعب الشديد والهلع والفزع أحسست أن هذا الشيء سيبتلعني وان تلك الغابة السوداء (من العانة ستغرقني).

الشاذ جنسيا عدواني تجاه الأطفال ، انه أسلوبه في الحياة ن بهجة في سبل الدنيا ،(أحداث الألم والتلذذ به) ،وإذا كان يحقق اللذة جنسيا ، وهو هنا يستخدم ميكانزمات الدفاع المرضية مثل الإسقاط PROJECTION والامتصاص INTROJECTION في الإسقاط يعزو الإنسان دوافعه، وأفكاره، وأفعاله المشحونة بالخوف إلى التغير (الطفل) تهربا من الاعتراف بها وتخفيفا لما يشعر به من الادانه الذاتية، والألم، والتوتر النفسي هنا أن يصبح هو الطفل المنتهك ، فهو المعتدى بشكل أو بآخر يتوحد مع ألم وعار وخجل المعتدى عليه وهو في إطار مجتمعه القاسي جدا يحس كما الطفل أنه (صغير ضئيل ، قليل الحيلةK غير سوى جنسيا واجتماعيا ، وهكذا دواليك ....).

وربما لعب دور الجاني والقاسي معا ، فإذا ما ظهر الأب الحقيقي غاضبا مدافعا تحوصل الجاني على ذاته داخل نواة مجتمعه يرقد في كبسولتها كالأسد الجبان .

وهو - الجاني - إذا ما كان رقيقا حبوبا تجاه ضحيته فهو يحاول الوصول إلى قرار تلك الأحاسيس المشبعة بأنه (طيب ، حنون) وانه خلوق صادق ورائع ؟!.. لكن بفعلته تلك — تماما — يخرج للعالم كله أحاسيسه الطفولية ولأن الوازع الضميري قاسي في عرف الدين والأخلاق فانه يوجه الضربات التي لا تحتمل للطفل وأهله يهاجمه ، ينتقم منه ، والطفل الضحية قد يكون ، دون أن يدرى مثيرا لغضب هذا المريض فهو آمن مستقر متصالح مع ذاته .

ووالديه ومحب للدنيا ومقبل عليها ومن ثم فإنه يحفز الجـاني ويـدعوه إلى اغتصابه والخنق وأحيانا قتله ، كما فى حالات كثيرة.

مما لا شك فيه أن الطفل وأهله يعانون الآن من توتر ما بعد الصدمة الذى يترك ندبة من الصعب جدا علاجها ، فهى لا تنسى ، هى محفورة بالنار على العظام ، لكن كل ما يمكن تقديمه هو القليل من درجة وقعها ، من شدتها ، وكما فى الحروب والكوارث وضحايا الاغتصاب والجنس المحرم يمكن عن طريق العلاج النفسى بالحوار، والتقديم السلوكى، والعلاج المعرفى والاسترخاء والاستدعاء، والمهارة فى التعامل مع صور الاعتداء البشعة .

فى الغرب يعالج الجانى بشتى الطرق ، ربما احتجنا إلى هزة عنيفة تخرجنا من صمتنا المريض وعلاقاتنا الهزيلة وخواءنا البشع ، هذه هى طبيعة الأشياء كما نراها ، وهناك حالات عيادية رأيتها فى الغرب وبعض الدول العربية، وهناك تأويلات رحبة ، وأفكار تتسع للمزيد لكن الأمر بالغ الضخامة، والتعقيد، والصعوبة بما يدعونا إلى الاكتفاء بهذا القدر من التفسير.

اغتصاب فى قاعة المحكمة"[21]"

القضاء البريطانى يسمح للجانى باستجواب ضحيته، وكأنه يسمح له باغتصابها مرة اخرى على مدى ستة أيام، فى قاعة المحكمة وأمام القاضى، المحلفين، البوليس، والناس.

تخلت جوليا ماسون عن حقها فى أن تظل هويتها سراً، وأخبرت صحيفة الديلى ميل قصتها بالتفصيل الممل، جوليا تقول أنها أعلنت قضيتها رغم حساسيتها لتثير الرأى العام، وحتى لايحدث هذا مرة أخرى لضحية أخرى، لكن هناك تساؤلات تحيط بالموضوع، فذات ال٣٨ ربيعاً، حتماً تلقت مكافأة مجزية (جداً) لقاء قصتها وصورها ببدلة أنيقة، وهى تقول: أنا لست امرأة على حل شعرها، أنا سيدة محترمة، نمت فقط مع خمسة رجال خلال ال٣٨ سنة، تزوجت مرتين وفشلت، والآن أعيش مع صديق أكن له كل مودة عندى طفلان وأتبنى آخرين، بعد الكشف عن حكايتها اكتشف أن ولداً عمره ٢٠ سنة كان يعاشرها فجَّر شقتها بقنبلة مصنوعة منزلياً وحكم عليه بالسجن خمس سنوات فى سجن خاص بمن هم دون ال٢١ سنة.

تقول جوليا إن رالستون إدواردز الذى اغتصبها، اغتصبها مرة أخرى فى قاعة المحكمة بعدما طرد محاميه العام، ومن ثم حقَ له قانونياً أن يدافع عن نفسه وأن يستجوب ضحيته فى قفص الاتهام وهى جالسة أمامه فى مكان الشهود، حدث هذا فى (الأولد بيلى)، كان المغتصب المتهم يرتدى

[21] المؤلف ، صباح الخير ، ١٩٩٧.

نفس الملابس (جيتر قذر وسويتر صوف) التى كان يرتديها حين اغتصبها فى شقته القذرة ذات الرائحة النتنة، نجح إدواردز فى دفع جوليا الى البكاء وترك قاعة المحكمة.

على مدى ١٨ ساعة، قالت جوليا إنها كل يوم - تعيش نفس أحداث الاغتصاب التى تمت على يدى رجل سادى مريض، مقرف، مقزز، ومثير للاشمئزاز. العادة أن يسأل محامى المتهم الضحية أسئلة تناقش الحقائق لكن المتهم هنا يسأل الأسئلة فى تعاقب وكأنه يعيد الكرّة ويغتصب ضحيته مرة أخرى دون جنس ولكن باستمتاع مختلف ربما أكثر أمام جمع من الناس، لدرجة أن أحد رجال البوليس همس فى صوت مسموع لرجل الصحافة: "مما لاشك فيه أن إدواردز يستمتع بمساءلة الضحية، إنه ينتشى جنسياً من التحقق من تفاصيل ماجرى بينه وبينها".

الرجل جهم الملامح، له تاريخ وسوابق فى العنف والاغتصاب، يكسب قوته من بيع (الواقى الذكرى) للغوانى الغريب أن هذه هى المرة الثالثة التى يحقق فيها إدواردز بنفسه مع ضحيته فلقد استجوب سابقاً ضحيتين، وعلى الرغم من الحكم عليه بالسجن قضى مدته وخرج من سجنه غير عابئ فإنه بتكرار القصة وبتكرار مشهد المحكمة مستمتعاً بكل لحظة من الفعل ورد الفعل، مما دفع وزير الداخلية البريطانى مايكل هوارد الى دراسة الحالة والتشاور للحيلولة دون حدوث ذلك مستقبلاً، وحتى لايتلذذ الجانى بمعنويات فريسته مرة اخرى بعد التلذذ بجسدها.

لما أودعته القاضية آن جودارد الحبس على ذمة التحقيق من أجل فحصه نفسياً لم يرفع رأسه ولم ينظر إليها. قالت له القاضية: (لقد اطلعت على تفاصيل جريمته الأخيرة، وعلى تاريخك الإجرامى وليس لدى أدنى شك

فى أنك رجل خطير، آخر حادث له كان عام ١٩٨٤ عندما اغتصب جارته أمام عينى طفلها.

فى لحظة من لحظات المساءلة الطويلة، والمرهقة انتفضت جوليا وسألت إدواردز "حتماً تدرك مدى الرعب والهلع الذى عشته معك" لقد قلت لك راجية أننى لاأرغب ممارسة الجنس معك، لكنك أصررت على أننى ملكك، واغتصبتنى".

قالت جوليا للصحافة (لقد اغتصبت مرتين مرة فى شقة إدواردز القذرة ومرة فى قاعة المحكمة؟!)

فى أحد أيام ديسمبر الباردة، قررت جوليا أن تنزح من بيتها فى مقاطعة (كنت) إلى شقة صديقها فى جنوب لندن، جمعت كل حاجياتها فى شنطة ومضت إلى سيارتها التى لم تعمل، استقلت القطار الذى لم ينته به المطاف عند المحطة التى تود جوليا النزول فيها، فقررت أن تستقل الأتوبيس، جلست على الأريكة تنتظر فاقترب منها إدواردز وطلب منها سيجارة، وهنا أحست بخوف غريزى، بعدم راحة وأعطته سيجارتين، أخذهما ومضى، ثم عاد وجلس الى جوارى، اقترب جداً حتى التصق بى، كانت رائحته النتنة تزكم أنفى ورائحة الخمر تخرج من جوفه تمتزج بعرقه وأنفاسه وتكاد تقتلنى، جاء الأتوبيس، واندفعت اليه واندفع هو خلفى، بينى وبينه حقيبة ملابسى توقف الأتوبيس بعيداً عن بيت صديقى، رجوت السائق أن يمضى بعيداً قرب منطقتى لكنه رفض، فنزلت، ونزل ورائى إدواردز، "إنه حتماً حظى العاثر" سرت مسرعة الخطى إلى بيت (بيللى) خطيبى فوجدت إدواردز يضع يده على، يحيطنى بذراعه ويضمنى إليه فى عنف، كنت خائفة ومرعوبة جداً. تمنيت لو رأيت أحد أو لو أحداً رآنى لكن لم يحدث أى من

ذلك، شدَّني جرَّني إلى حارة جانبية وهجم على وأغرقني بلعابه مقبلاً فمي في وحشية. في محاولة مني لإيقافه قلت له إنني حامل ومتزوجة ولدى ستة أطفال ينتظرونني، لكنه همس بفحيح كالأفعى (إنس زوجك وأولادك أنت الآن لي فقط)، دفعني إلى بيته، بيت لم أر مثله قط، خرابة قذرة، رائحة عفنة تفوح من كل الأرجاء، سرير مقزز لاتحميه حاشية وإنما رقعة من بطانية قديمة ملأى بالبقع، وسخ وقذارة في كل مكان بلا استثناء.

فتح درجاً متهالكاً بجانب السرير، وكان يحوى مجموعة فظيعة من (الواقي الذكرى) وبعض الأغراض الجنسية الأخرى وجيللي لتسهيل العملية الجنسية، وهنا تيقنت تماماً من أنه سيغتصبني.....

في الصباح أخذني – الى بعض المحلات والدكاكين – فكرت في الهروب لكن حقيبتي بكل ما أملك من أدوات وبطاقة شخصية، وثائق، صور، لاأحلم بفقدانها كانت هناك، في شقته القذرة، أعادني الى شقته حيث اغتصبني مرة أخرى، وأخيراً نام، انتزعت حقيبتي وجريت إلى الطريق العام ولم أتوقف. دفعتني الشجاعة إلى البوليس، وذكرت كل شئ تفصيلاً، بعد أسبوع قبض على إدواردز ثم أفرج عنه بضمان محل مسكنه لحين التأكد من كلامي عن طريق الفحص الشرعي الجنائي [(للمني، وأشياء أخرى في تطابق ممارسة الجنس بين جوليا وإدواردز)].

في المحكمة سأل إدواردز جوليا أسئلة كثيرة عن حياتها، وعما إذا كانت قد مارست الجنس بعد الحادثة التي ادعتها فأجابت بنعم مع صديقها، لأنها لم ترد أن تقع فريسة عقدة الاغتصاب، وسألها عما إذا كانت – في المحكمة – ووقت الاغتصاب ترتدى (لباسها) الداخلي أم لا..

من هو رالستون إدواردز؟

تصفه الصحافة الشعبية الإنجليزية بأنه مغرور، وقح، شرير، يكره النساء، ويدفعه كرهه لهن إلى العنف.

رجل وحيد، قيل أنه حوكم ثلاث مرات بتهمة الاغتصاب، يميل الى القصر، مليئ البنيان كانت له صديقة ضربها بهرواة، بعنف ثم جلدها بأسلاك الكهرباء على مدى ٨ ساعات متواصلة.

رجال المباحث يقولون إنه شاطر، مخاتل، وشديد الغرور، ليست له أى علاقة مع امرأة تنطوى على الحب أو الاحترام، بدأ سجل حياته الإجرامى عام ١٩٧١ وقتها كان عمره ١٧ سنة حينما اعتدى على رجلى بوليس، وفى عام ١٩٨١ سجن أربعة أشهر بتهمة الاعتداء بغرض السرقة، فى سنة ١٩٨٤ تسلق بيت الجيران واعتدى على الجارة أمام ابنها الذى كان عمره ١٦ شهراً فقط، وقضى ثلاث سنوات لهذه الفعلة (....؟!) فى سنة ١٩٨٧ بعد الإفراج عنه اتهم بالاغتصاب مرة أخرى لكنه بُرئ بعد أربعة أيام من المحاكمة فى (الأولد بيلى) فى نفس ليلة الافراج عنه هجم على صديقته بشكل سادى متهماً إياها بالنوم مع الرجال، وقضى إدواردز ثلاث سنوات أخرى فى السجن، قال أحد الضباط إنه قضى ٣١ سنة يطارد المجرمين والمغتصبين لكنه لم يلتق شريراً مثل إدواردز قبل ذلك، إنه ظن أن جوليا لن تقر بواقعة اغتصابها للبوليس.

رأى الطب النفسى: أحياناً ما يندفع بعض المعالجين إلى دفع الضحية إلى إعادة معايشة الحدث المرعب مرة ومرات من أجل البوح العلاجى لكن فى أحيان كثيرة تكون النتيجة العكس ويصاب المريض

بانتكاسة شديدة، كذلك فإن كثيراً من النساء يعزفن عن إبلاغ البوليس نظراً لأن السؤال والتحقيق والفحص الطبى يكون بمثابة إعادة اغتصاب والأمر كذلك فى المحكمة، ولقد فحصت نفسياً سيدة فى العقد الثالث من عمرها عام ١٩٨٥ فى شمال ويلز وكان رجلاً قد اغتصبها وهى حامل فى الشهر الرابع بجوار محطة للسكة الحديد وكان ابنها البالغ من العمر سنتين يجرى، كانت تخشى اصطدامه بالقطار وكانت تخاف الإجهاض، فاستسلمت، ولما أبلغت البوليس أقرت لى أن اسئلة المحققين بما تحمله من شكوك أرهقتها نفسياً إلى درجة مماثلة للاغتصاب، ثم كان الكشف الطبى النسائى غاية فى القسوة عليها خاصة وأنها حامل، ثم يجئ مشهد المحاكمة بكل مايحويه من تناقضات كما ذكرنا سابقاً.

المغتصبون رجال غالباً دون الخامسة والعشرين، تسهل لهم العملية معاقرة، الخمر وتأثيرها المسكر، وهو عامل هام فى ثلث حالات الاغتصاب المبلغ هنا فى بريطانيا. تدرس الحكومة البريطانية إمكانية علاج المغتصبين وهم فى السجون على الرغم من أن التكاليف باهظة والنتائج غير مضمونة، تحجز السلطات البريطانية المتهمين فى قضايا الجنس فى أماكن منعزلة تماماً عن باقى المساجين، لأن القتلة والسارقين مثلاً يعتبرون مجرمى الجنس أشراراً ويجب قتلهم وبالفعل حدثت حوادث قتل داخل السجون، بينما فى زيارة لى لأكبر سجون بريطانيا فى جزيرة(Isle Of White) حيث ألقيت محاضرة عن الأبعاد النفسية الداخلية لمجرمى الجنس قال لى أحد المتهمين انه ليس مجرماً إنه مرتكب لفعل جنسى غير طبيعى فقط، ثم أعقب (أنا لم أسرق، و لم أقتل، و لم أضرب أحداً، أنا لست بمجرم.....؟!)

أسئلة حائرة من حالة "جوليا":

* لماذا سمحت للصحافة بكل هذه الدعاية و(الإعلان) أليس هذا اغتصاباً ثالثاً لها بعد الحقيقى والمحكمة؟!

* هل كان الإغراء المادى أكبر من أن يبقى الأمر سراً خاصة وأنه يتعلق بالجنس وهو خاصة حساسة من حياة الإنسان.

* لماذا فجر الولد ذو العشرين سنة شقتها؟

* ظهرت جوليا أنيقة متماسكة على الرغم من تأثرها فى المحكمة.

* علاقاتها المتعددة غير الناجحة مع الرجال تلقى بظلال على مدى قابليتها للانحراف فهى فى تلك الحادثة لم تكن حذرة بالقدر الكافى.

* هناك من يتهم النساء أنهن – أحياناً – يخلقون المواقف التى يغتصبون فيها.

* هل ثلاث سنوات أو سبع سنوات كافية لعقاب مجرم جنس على فعل شنيع؟!

* هل التناول الاعلامى لقضايا الجنس فى كل أنحاء العالم مُرشَد ومحمود العواقب،

* هل هو علمى مدروس، أم للإثارة؟!

* هل هناك علاج للمجرمين جنسياً؟ وإذا كانت الإجابة لا فما هو الحل؟!

* هل الإعدام وسيلة إنسانية مع بشر انعدمت انسانيتهم.

* هل علاج ضحايا جرائم الجنس مُجدى تماماً، أم أنه تخفيف للمدة فقط وتبقى الندبة غائرة على مدى السنوات؟!

يبقى الإنسان أكثر الحيوانات شراسة، عدوانية وإيذاء لبنى جنسه، ويبقى لغزاً عصيباً، وصندوقاً مغلقاً على الرغم من كل البحوث والعلوم والمؤتمرات.

من ملفات العنف الزوجى

هذه حكاية واقعية من داخل ملفات الشرطة النفسية ، ذلك الفرع الذى يهتم، ويحقق فى القضايا التى تنشأ عادة من أمراض وعلامات المرض العقلى ، والشرطة النفسية جناح هام وخطير فى بريطانيا .. ندخل إلى عالمه ، دون المساس بالوقائع التى تشير إلى الشخصيات الحقيقية ..

بمجرد أن خرج " أندرو " من الحمام فوجئ — وهو يهم بالتقاط معجون الحلاقة — بباب الحمام ينفجر فى وجهه بضربات قوية ، وقبل أن يدرك كنه الأمر ، هجم عليه ثلاثة رجال مسلحين، ملثمين، وطرحوه أرضا . استخدم أحدهم هراوة ضخمة هشم بها رأس " أندرو " قاطعا الجانب الأيمن من وجهه تماما، بينما أخذ آخر يضربه فى قفصه الصدرى بقضيب من الحديد بقسوة شديدة ، بينما انهمك الثالث فى الأمساك بـــ "أندرو " بقوة ، مانعا إياه من الحركة قدر الإمكان .

وأثناء تلك العملية الوحشية كانت " جاكلين " زوجة " أندرو " تصرخ وتبكى بشدة ، تكورت على نفسها فى غرفة النوم ، محاولة الاختباء ، وفى حضنها رقد أبنهما "ريس " ذو الأربع سنوات .

كان أداء " جاكى " رائعا ومتميزا إلى حد بعيد ...؟

نعم وببساطة لأنها " جاكى " الزوجة المسكينة التى أجرت هؤلاء الرجال البشعين ليبطشوا بزوجها ؟؟ وعلى مدى أسبوع ظل " أندرو " فاقدا الوعى ، يكافح الموت فى غرفة الإنعاش بالمستشفى العام المجاور ،

وأضطر الأطباء إلى فتح رأسه من الأذن إلى الأذن ، يقشرون لحمة الوجه ويغرسون خمس صفائح معدنية فى خده ، ومقلة عينه ، وجمجمته .

خلال كل ذلك كانت " جاكى " ذات الأربعة والعشرين ربيعا فى قبضة البوليس متهمة بإحداث إصابات بالغة فى زوجها ، عن عمد وقصد ، وعندما أفاق " أندرو " اضطر أبواه إلى إخباره بالأمر ، وهنا لم يتمكن الزوج المصاب ، إلا من التقيؤ بعنف ، مفرغا كل ما فى أحشائه ودمه وأعصابه ، وكأنه يلفظ الحقيقة البشعة ، فلم يتمكن من الاحتفاظ بها ولو لثوان .

صاح " أندرو " البالغ من العمر ٢٤ عاما : أنا لا أكاد أصدق ما تسمعه أذناى ، أنا لا أكاد أصدق أنه بإمكان " جاكى " أن تفعل ذلك فى !! لقد كنا سعداء ، كان عمرى ١٨ سنة ،وكانت هى فى ١٦ سنة ، وتقابلنا فى ناد للتزحلق على الجليد ، أحببنا بعضنا وتزوجنا .

لنا اهتماماتنا المشتركة وتناغمنا الخاص الذى يحسدنا عليه الآخرون .. لكن شهور العسل لم تستمر طويلا ، وبدأت الخلافات تنشب أظافرها فى الحب الذى جمعنا سويا .

أخذت " جاكى " طفلنا وذهبت لتعيش مع والديها ، قائلة أن الكيل فاض بها ، وإنها بالفعل قد سئمت حياتنا سويا ..

واتفقنا على الانفصال وألتقى كل منا بآخر ، وتحطم الزواج على صخرة الأحداث الأليمة التى ألمت بنا .. ولما حان وقت الاتفاق على الطلاق ، فوجئت بها تنتقل لتقيم مرة أخرى فى شقتنا ، و لم يكن الدافع هذه المرة هو الصلح ، لكنه كان الحرص على ألا يضيع حقها فى الشقة .

قبل الحادث البشع الذى تعرضت له على يديها بأربعة أيام ، كنت أجلس فى الصالة مع بعض الأصدقاء وكانت هى فى المطبخ تثرثر مع صديقة لها . سمعتها تقول إنها ببساطة يمكن أن تقطع ساقى بثلاثين جنيها فقط .. كان غريبا جدا أن أسمع ذلك ، لكنى تخيلت أن الأمر لا يعدو كونه تهديدا أو استعراض عضلات .

كانت " جاكى " فى غرفتها مع ولدنا ، وكنت أنا خارجا لتوى من الحمام ، وفوجئت بهؤلاء الرجال الثلاثة الملثمين ينهالون على ضربا ، رغم المفاجأة وقسوة الضرب ووحشيته ، ميزت صوت أحدهم يقول (عليك بساقية اكسرها ...) .

احتاج القاضى وهيئة المحلفين إلى تفسير علمى مفصل للظاهرة ، كما احتاجوا إلى تركيز على أهم الدوافع والمبررات ..

كتب الطبيب الشرعى النفسى ، فى معرض تقريره أن حالات ضرب الأزواج ليست نادرة كما تخيل البعض ، لكنها لا تحظى بأهمية إعلامية كبيرة إلا فى حالات محددة ، كما أن الرجال إذا لم تكن إصاباتهم بالغة فإنهم عادة لا يشكون ، ولا يصل الأمر إلى الشرطة أو القضاء ، والجدير بالذكر أن مثل تلك الحالات (ضرب الأزواج) للأسف لا تحظى بأى اهتمام من قبل الباحثين والعلماء ، بينما ينصب تركيزهم على (ضرب الزوجات) من قبل الأزواج .

الموضوع له دلالات وأبعاد اجتماعية يجب التوقف عندها : هل المسألة معركة لرد الإهانة والدفاع عن الكرامة والحق المسلوب ، أم أنها

عملية انتقام؟.. قليلة هى تلك النسبة التى توحى بالضرب أو العنف ، وليس للدفاع عن النفس أو لرد إهانة .

وفى حالة " جاكى " و " أندرو " هناك بعض العوامل الخفية التى قد تكون مرتبطة بالغيرة المرضية وبشخصية الزوجة الإجرامية أو (السيكوباتية) .

وهو نوع من الاضطراب النفسى الاجتماعى المتكرر وغالبا ما يبدأ فى سن المراهقة ، يتكرر ولا تعانى صاحبته من الإحساس بالذنب أو الندم ، كما أنها تراوغ وتعود للفعل العدوانى ، ولا ترتدع مهما كانت النتائج وخيمة.

وتتميز الشخصية السيكوباتية تلك ، بعدم الإحساس بالمسؤولية ، وبالعدوانية المفرطة ، وعدم القدرة على التأقلم مع تقاليد المجتمع وعاداته . انتهى الأمر بـ " جاكى " فى السجن ، بقضاء عقوبة مخففة ، انتقلت بعدها إلى مصحة علاجية فى محاولة لتقويم شخصيتها العدوانية من خلال بيئة علاجية منظمة ، وانتهى الأمر بابنهما فى الرعاية الاجتماعية لدى أبوين آخر

الهاتف أداة المعتدى المريض

"ديفيد " أرعب ٣٠٠٠ امرأة في ٣ أسابيع وبرأته المحكمة لماذا؟؟؟؟؟؟؟

مهندس فى مصلحة التليفونات البريطانية يستخدم معرفتـــه التكنولوجيـــة لتفادى الإمساك به؟؟؟

* الساعة الثالثة صباحاً قبل الفجر بقليل

* يدق جرس الهاتف، يصرخ، يمزق صمت الليل البهيم ويخترق الجـــدران والأذان

* صوت الرنين الرتيب الملح يزداد ضراوة مع وحشة الوحـــدة والـــسكون والصمت المطبق

* إنها حالة طارئة.

* تقوم المرأة نصف جالسة، نصف نائمة من على وسادتها لتمسك بسماعة الهاتف ترد فى صوت متحشرج بالخوف مغلف بـــالنوم، قلـــق، متـــوتر، ومترقب:

تقول: آلو.. هالو.. آلو..

ما من مجيب، صمت غريب ومريب.

* تحاول المرأة أن تعود للنوم نصف يقظة، نصف مترقبة.

* يدق جرس الهاتف مرة أخرى.

* تقبض المرأة على سماعة الهاتف بيدها، تتشنج أناملها على السماعة، ويرد عليها الصمت، ثم، صوت تنفس رجل، متقطع خـــشن، هـــامس مـــشوه مضطرب يخترق جدار الصمت يقول:

-"أريد أن آتى الآن.. الآن.. أنا أعرفك جيداً.. وأعرف مكان إقامتـــك.. أريد أن..."

* ويستمر اللغط مخلوطاً برغبات مريضة محمومة ووعيد باستخدام العنف.

* على الرغم من أن المرأة رغبت فى وضع السماعة فوراً فإن شيئاً من التكاسل والفضول دفعاها إلى التباطؤ ثم وضع السماعة مكانها فى خوف شديد مقرون بالغضب العارم.

* وترقد المرأة وحيدة تحدق فى سقف الغرفة مرعوبة، بينما تتسارع فى رأسها كل الهواجس والأفكار المخيفة والفظيعة.

هذا الملف ليس سرياً..

إنه من واقع أرشيف الشرطة النفسية التى سمحت بنشره بالأسماء والوقائع عملاً بحرية الرأى فيما يخص جريمة تمس الناس وترعبهم فى بيوتهم.

القضية (رجال يخيفون النساء عبر الهاتف)

الأول يدعى "ديفيد ثورنتون لين" يبلغ من العمر ٤٥ سنة، أخاف وأرعب آلاف النساء هاتفياً، بلغ عدد ضحاياه ثلاثة آلاف امرأة فى مدة ثلاثة أسابيع فقط. اعترف ديفيد بإجراء "٤٠٠" أربعمائة مكالمة فى ليلة واحدة فقط، كانت خلالها ترقد زوجته فى نوم عميق تحلم وتأكل أرزاً مع الملائكة.

الوقت: بعد منتصف الليل بقليل يرفع ديفيد ثورنتون لين سماعة الهاتف ويتصل بضحاياه يتوعدهن، يهددهن، ويستمر مسلسل الرعب إلى أن تقدم سيدة عجوز بشكوى للشرطة المحلية التى قامت بدورها بتعقب مصدر المكالمات المرعبة إلكترونيا، وكان ديفيد هو المتهم الذى برأته المحكمة فى ضاحية إيزلورث، برأته ولكن حكمت عليه بالعلاج النفسى لمدة لا تقل عن ثلاث سنوات.

وقبل أن نعرف لماذا برأته المحكمة؟! وما هى طبيعة ذلك المرض النفسى اللعين الذى يستخدم فيه الهاتف كأداة للرعب، نتطرق إلى قضية أخرى حديثة وأكثر تعقيداً.

مهندس فى مصلحة التليفونات البريطانية الشهيرة BT ولمدة سنتين، استغل خبرته ومعلوماته التكنولوجية ليهدد وينتهك لفظياً حرمات ١٥٠ (مائة وخمسين) امرأة، وكان فى كل مرة يستخدم مهنته وحرفته لتفادى إمكانية الإمساك به.

لمدة سنتين كان "بيتر أوبرين" البالغ من العمر ٣٧ سنة يهدد ضحاياه بالقتل، الاغتصاب، العدوان على العرض. ظهر أمام المحكمة العليا فى يورك هادئاً، قال إنه استخدم المعلومات الموجودة على الكومبيوتر والتى تخص المشتركين فى هيئة التليفونات، واختار منها تلك التى لم تخضع للتطوير التكنولوجى بعد ومن ثم يكون من المستحيل تعقب خطوطها.

"بيتر" أب لطفلين أقر بأنه مذنب فى توعده للنسوة بالقتل، اعترف بأنه مثير للشغب ومقلق للعامة باستخدام جهاز التليفونات للتأثير السلبى على الناس مما سبب لهم التوتر والضيق. أجل القاضى "آلان جولد ساك" القضية للنظر فيها بعد شهر حتى يتسنى فحص "أوبرين" طبياً نفسياً وإعداد تقرير واف عن حالته للمحكمة وقال إن احتمال سجن "أوبرين" وارد. بعد انتهاء الجلسة قال رئيس مباحث الدائرة "ستيف بارلو" والذى قاد بنفسه التحريات والقبض على "أوبرين" الذى عمل مهندساً لمصلحة التليفونات البريطانية طيلة ١٨ عاماً، وكانت غلطة الشاطر حين استخدم "أوبرين" هاتفاً رقمياً متطوراً، والمثير للدهشة أن أكثر ما ساعد فى عملية القبض هو إجابات النساء على استبيان يحوى كثيراً من الأسئلة أجابت عليها ١٥٠

سيدة. كان الهدف لعملية رعب "أوبرين"، قال مستر بارلو رئيس المباحث: "لقد هدد أوبرين النساء بالخطف، أو باختطاف بناتهن، أو أمهاتهن وأنه سوف يلحق الأذى بهن إذا لم يطعن أوامره؟!"

"البذاءة الهاتفية" هى الاصطلاح المستخدم الآن فى الأوساط القانونية والطبية النفسية الجنائية، وتعريفها إنها مكالمات مشينة تعتدى على حواس الإنسان وعقله.

*هل يعانى المجرم فى تلك الحالات من مرض نفسى؟!

* نعم! فى بعض الحالات.

* إنها نوع من الاضطراب الجنسى: يشترك فى الخصائص المتلصصون على حياة الآخرين الخاصة بالنظر، أو هؤلاء المرضى بـ"عقدة الاستعراض" حيث يظهرون عوراتهم للأطفال والنساء، وهؤلاء الذين يكتبون رسائل قذرة لنساء معينات.

إن "الهجوم التليفونى" أشبه ما يكون بالاغتصاب السادى المتلذذ بالعنف تجاه ضحايا قليلى الحيلة.

التشخيص الآخر

اضطراب الشخصية اللاسوية، المعتمدة بشكل مرضى على الآخرين، غير الناضجة، والمندفعة، دون وجود دليل حقيقى على عنف فعلى.

* هناك نوع من هؤلاء الرجال يكون "بسيطاً" يرتد إلى الطفولة، سلوكه نوع من التعويض عن النبذ أو الرفض أو فقدان الاعتبار النفسى.

* ونوع (مندفع – مذعور)، مضطرب جداً فى مختلف أوجه حياته المتوترة والمتسمة بتغيير قلق فى الإقامة والعمل والعلاقات الاجتماعية

* إنهم يجنون إحساساً خادعاً مؤقتاً بالقوة والسيطرة، قال مريض يوماً مـــا "إنه شئ رائع أن تخرج امرأة أو تخفيها بمجرد كلمة واحدة، إذا مـــا احمـــر وجهها فهذا وحده كافياً، إننى أعتقد حينها أننى ساحر يمتلك قوة خارقة".

لماذا يفعل هؤلاء الرجال ذلك؟!

يقدم التحليل النفسى تفسيراً هاماً لتلك العدوانية المرتبطة باستخدام الهاتف للتحرش الجنسى والبذاءة الشفهية، فيرى محللوا النفس أن ارتباط المريض المرتكب لذلك الإثم هو نوع من الفيتشية FETISHISM (وهى حالة مرضية نفسية جنسية يتعلق فيها المريض بهوس إما بأجزاء معينة من جسمه أو بالملابس مما يثيره، وهنا ينطبق ذلك على سماعة الهاتف بشكل خاص)، وتوحى بأنها بديلا للعضو الذكرى مما يؤكد استخدامها بقوة كبديل للضعف، فى تخف بدلاً من المواجهة، عبر الأثير والكلمات، وبعيداً عن الحس والحقيقة، ويعتقد البعض أن اللغة البذيئة المستخدمة هى أيضاً نوع من "الفيتشية" يتعلق بها المريض ويعشقها فتثيره، ويثيره استخدامها ومن ثم تستمر الدورة كدائرة مفرغة بلا انقطاع.

وكما ذكرنا سابقاً فإن الميزة التى يتمتع بها المجرم هنا هى "عدم المواجهة الفعلية" مع ضحاياه، ومن ثم فهو يبنى لنفسه صورة خارقة من وحى خياله، ويأمل أن تقع الضحية فى شرك الخوف والتصديق ويملؤها الإحساس بالرعب، ويكون غرضه فى الغالب هو إحداث نوع من الصدمة، من الحرج البالغ ومن الذعر والهلع اللامحدود.

وهناك ربط بين استخدام الهاتف بهذا الشكل الشاذ وبين مجموعات السحر والعقائد الغريبة، لكن تبقى "مجهولية" المعتدى واستمراره فى اعتدائه

هى حجر الزاوية لفهم الموضوع، وعلى الرغم من هذا الغموض يبقى الإحساس الدفين بالرغبة فى الاعتراف والكشف عن النفس.

الحل والعلاج

مرتكب جرائم الهاتف مزعجين أكثر منهم خطرين، ولهذا على الرغم من ضرورة محاكمتهم فإنه كما حدث مع "ديفيد ثورنتون لين" لا يعاقبون ولكن يعالجون. والعلاج أو العقاب يعتمدان إلى حد كبير على شخصية المرتكب لجرائم الهاتف، ومن المهم فى كل الحالات أن يتم فحص طبى نفسى وتقييم مفصل لكل حالة، وتقرير الطبيب عن إمكانية ونوع العلاج سيعتمد على رغبة المرتكب وحوافزه للتخلص من هذا المرض.

العلاج بالتحليل النفسى

يعتمد على التفسير والشرح، وربما كان العلاج النفسى بالحوار، وجهاً لوجه مفيداً، كما أن العلاج الجمعى مفيد فى حالات أخرى، يلجأ فيها المعالج إلى إظهار المشاعر الدفينة وتحليلها وأحياناً أمام الجماعة مما يخجل المريض ويحسسه بالندم غير أن الحالات التى يتضح فيها عنصر الوسواس القهرى بمعنى عدم القدرة على كبح جماح الرغبة فى الاتصال يكون العلاج السلوكى هو الأفضل.

الذى يعتمد على كسر تلك الرابطة بين العمل ونتائجه، بين المثير والإحساس بالفرحة أو النشوة، وهكذا ومن أهم وسائل الحضارة فى القرن العشرين أصبح الهاتف مثار خوف وإزعاج ومع تقدم طرق العلاج ووسائل اكتشاف المجرم المضطرب إلكترونيا، بمرض الناس المرتكب والضحية على حد سواء ولا ننسى أنه فى عام ١٩٨٥ فى بريطانيا كانت ٢١٠٠٠ مكالمة

من مجموع ١٤٥٠٠٠ لإدارة المطافئ "بلاغات كاذبة" أى حوالى سبعة فى المائة

ظاهرة الجنس الثالث"[22]"

ما هى الحقيقة النفسية خلف هذا السلوك الغريب؟

على أشرطة الفيديو، على شاشات التليفزيون يطالعنا وجه جميل مرســوم بدقة، شعر طويل، ملابس نثاية... وصوت رجل! انــه مغــنى "البــوب" الشهير... بوى جورج صاحب الفرقة الموسيقية المسماه بالنادى الثقافى .

بوى جورج فخور بأنه ينتمى إلى "الجنس الثالث" فيظهر ويغنى ويلتقى بالناس وهو يرتدى ملابس امرأة، ويزدان بحلى النساء، ويضع مساحيقهن.

فى نيويورك، فى الشارع الثامن، سار ما يسمى »بالمهرجان الشاحب« قبعات سوداء كبيرة، وفساتين، وقفاطين حريمى، وشفاه بنفسجية اللون، وسراويل فضفاضة عند الحوض وضيقة عند الكعبين... عيون كحيلة وغناء راقص.

لكن! لماذا يبدو هؤلاء الناس هكذا؟! ما هو السر؟! هــل هــو صــرع؟! موضة؟! أم مجرد احتياج نفسى يتم إشباعه بأداء أدوار غريبة؟!

بعض قيادات هذا المهرجان يؤثرون أن يظهروا للعالم أنهم ـــ مجرد أبرياء، فيقولون "أننا نعود إلى طفولتنا، حيث لاشيء يفرق بين الولد والبنت سوى "بعض" الاختلافات الجسدية!".. ثم يتهمون المجتمع الذى يؤكد على اختلاف الرجل والمرأة بإعطاء كل منهما دوراً مختلفاً.

---

[22] طبيبك الخاص ، المؤلف ، ١٩٨٥.

نجد (بوى جورج) يقول (إننى كما أنا الآن، أبدو كأروع ما أكون... خد كلامى هذا بثقة).

بعض هؤلاء الرجال متزوجون، وسعداء فى حياتهم، لكنهم لا يرتدون الا ملابس النساء، يضعون أحمر الشفاه، وأحمر الخدود، والحلى، وطلاء الأظافر... بل إن زوجة أحدهم قالت فى برنامج تليفزيونى (إننى أهدى زوجى ملابس حريمى داخلية وخارجية... لقد ارتضيت بالأمر الواقع، إنه زوج مخلص رغم كل شىء).

بوى جورج وفرقته، يهاجمون (المراة المسترجلة) ويرون أنها شىء آخر، مختلف، مصطنع، وأنها تبتعد عن الجمال والبراءة التى يجدونها فى المرأة العادية، رأيهم فى النسوة المتشبهات بالرجال أنهن قاسيات، ذوات عضلات بارزة، وشعر قصير، وأجساد نحيلة، وكل ملامح العنف.

ولكن لماذا يفعل هؤلاء الرجال »المخنثون« ما يفعلونه؟! ربما كانوا يخفون أجسادهم الذكرية وراء ستار حريمى رقيق، فى حين أن النسوة المتشبهات بالرجال غالباً ما تكون ملامحهن غليظة وبالتالى فإنهن يبرزنها كدلالة على القسوة.

الجنس الثالث يدافع عن نفسه باستماتة، مؤكدين أنهم ليسوا فى صف الرجال ولا النساء، وأنهم مجرد أناس أبرياء، سعداء، فى حالهم.

بوى جورج يقول إن التزين بهذا الشكل أمر برىء، إنه أمر يخلق شعبيتى، ان الرجل المولود (ذكر) ويختار أن يعيش (مخنثاً) رجل ذو شخصية

فريدة مفعمة بالمرح والحب، لكن المرأة على العكس فهى إذا بدت كذكر فإنها ستكون خبيثة وشريرة وسيئة.

ويحاول البعض تفسير الأمر من وجهة نظر الموضة، أو الملابس التى يرتدونها، فهى فضفاضة تبعث على الراحة، ذات اكتف منسابة تظهر الاطمئنان، والخصور الضيقة رمز للجمال... بينما تظهر ملابس النساء »الرجالية« القوة والسلطة فى الأكتاف المرفوعة، وفى السراويل المشدودة، وفى الألوان المعتمة الموحية بالسيطرة... ولكن ربما بدا هذا التفسير رومانسياً جميلاً بعيداً عن لب الحقيقة!

ربما إذا توغلنا فى حياة (رجل) من هؤلاء... لوجدنا أنه تربى منذ صغره بين إناث، وربما كان ولداً وحيداً، غاب أبوه عن البيت لمدد طويلة، عشقته أمه عشقاً غير محدود، رتبت له أشياءه، نامت فى سريره، سرحت له شعره، ضفرته، وضعت به شريطة حمراء أو بيضاء، أخذته معها إلى الحمام، التصقت به فى كل وقت وفى كل مكان، دللته كبنت، أحبته بعنف، وقست عليه وكأنها — بدون شعور — كانت تقتل ذكورته منتقمة بذلك من زوجها أو من أبيها أو من كل الرجال...

ولربما كان الجهاز التناسلي هو أهم الفروق بين الرجل والمرأة، لكن الأمر أهم من ذلك، فالذكورة والأنوثة، سلوك وطريقة تعامل، ودور نلعبه فة الحياة قبل أن يكون جسداً وهرمونات.

ومن وجهة نظر الطب النفسة فإن مظاهر "الجنس الثالث" تبدو كنوع من الهروب من أزمة نفسية أو عاطفية.

هؤلاء الرجال (النساء) يطلق عيهم علمياً (المختنون نفسياً) وهم بالطبع ينقسمون إلى قسمين (الرجال المختنون) والنساء المختنات وهم مختلفون عن هؤلاء المختنين جسدياً أى المولودون بجهاز تناسلى مختلط. ولهم اسم مشتق من الأساطير الإغريقية القديمة وهو (هرما فرويدت) الذى كان ابن أفردويت وكان شاباً جميلاً ذو صدر أنثوى وشعر طويل — وهم أيضاً مختلفون عن المتحولين جنسياً وهم أجناس ينتمون بجسدهم فقط إلى جنس معين بينما هم فى الحقيقة، فى قرارة أنفسهم فى عقلهم الواعى واللاواعى ينتمون إلى جنس آخر.

هل حقيقة الأمر مجرد صراع؟ ومحض اضطراب نفسى؟ أم أن له أسباباً عضوية تكمن فى المخ وتسرى فى الدم؟!

العلم حائر فى هذه المسألة، لكنه يؤكد على وجود ما يسمى بالقوة الثالثة وهى ما تمثل عوامل وراثية وطبيعية تدخل فى تكوين الإنسان، وهذا ما يثبت أن مرضى كثيرين مصابون بالتحول الجنسى تكون نشأتهم سليمة... اياً كان السبب، نفسياً أو عضوياً أو كليهما، فان ثمة حقيقة ندركها كلنا ألا وهى إن بكل منا "جزء أنثوى" و"جزء ذكرى" لكن كشىء طبيعى فى الرجل يتغلب الجزء الذكرى وفى المرأة يتغلب الجزء الأنثوى.. بمعنى انه لبعض من الرجال طباع وصفات وسمات أنثوية، ولبعض النساء سلوكيات ذكرية، ويدعى بعض الباحثين الأمريكيين أنه زاد الجزء الأنثوى فى الرجل كلما كبرت طاقاته الإبداعية وكلما زاد ذكاؤه، كذلك الأمر بالنسبة للنساء أذا كان الجزء الذكرى لديهن واضحاً كانت قدراتهن على الإبداع والإنتاج قوية، غير أنه ليس هناك أدلة قوية تثبت صحة هذه النظرية.

وهكذا فإن المجتمع الغربى المتفسخ يولد فى كل يوم (موضة) تتناول أدق خصوصيات الإنسان، وتعبث بها، ولا تتركها كما هى، بل تحاول من خلال ما تجنده من علماء وباحثين أن تنظر لها!

"إنه ليس جنساً جماعياً، لكنه عطل جنسى...متخفى وراء ممارسات شاذة وكاميرا فيديو"

*الخط الأحمر بين ما يدور فى العقل وما يحدث فى الواقع!

*الأسباب الحقيقية للانحراف الجنسى

نشرت روز اليوسف فى عددها الصادر فى 18-12-95 برقم (٣٥٢٣) تحت باب (جريمة الأسبوع) موضوعاً خطيراً تحت عنوان (حفل جنسى جماعى فى مصر الجديدة) والموضوع كما تقول (روز اليوسف) حادثة غريبة سجلت لأول مرة فى محاضر الشرطة، لكن واقع الأمر أن مثل تلك الأمور تحدث فى كل الدنيا لكنها تكتم فلا تقال وعادة مالا تكشف عنها الشرطة ولا تنشرها الصحافة بالذات فى المجتمعات المحافظة والتقليدية.

ولأن الموضوع المنشور مقتضب، أى مجرد خبر فانه يستحق التحليل من الزاوية النفسية، ونحن نرى دون إجحاف للزوجة أن هناك بعض الشك فيما يتعلق برضاها وصمتها طوال تلك السنوات التى لم تحدد فى التقرير، ومن ثمَ فان هناك نوعاً من التقبل إن لم يكن الرضا فجرته أحداث نجهلها وخلافات لا نعرفها بين شراكة الجنس، أما الزوج الذى استاء للغاية واندهش، وتساءل عن تدخل البوليس فى هذا الموضوع قائلاً إنها حرية، كفلها القانون فهو يستحق التأمل - من ناحية أن التقرير ذكر أنه اعترف، لم ينكر لحظة، وأدلى بتفاصيل كل الوقائع دون خجل أو حياء أو تردد، أو حتى أى ملامح تأثر، وظل يحكى فى هدوء شديد، كما لو كان يروى قصة

فيلم رومانسى. وعلى الرغم من أنه ذكر أن الجنس أهم أركان حياته فإننا نرى أنه كل حياته، أغلب الظن أنه غير ناجح فى عمله وغير مشبع وظيفياً لهذا يذهب البعض من الدارسين للعلاقات الإنسانية إلى حد القول بأن (العشيقة الحقيقية للرجل هى عمله)، وبصرف النظر عن نوعية عمل الرجل، درجة ثقافته، شهاداته، منصبه، فان تحقيقه لذاته فى عمله ومدى نجاحه هو المحور الأساسى وإذا انتفى ذلك فإننا نجد رجالاً يسقطون فى بحار الاكتئاب أو الرذيلة، أو الإدمان بكافة صوره.

هناك ثلاثة محاور لتناول الموضوع، الأول: هو أن ذلك الرجل يعانى من عطل (وليس عجزاً) جنسياً يتخفى به وراء ستار التعددية الجنسية لرجال يصورهم وهم يمارسون الجنس مع زوجة فيستثار ثم يمارس هو الجنس معها، وهو يستثار - غالباً - بقدر أكبر من مشاهدة الآخرين يمارسون الجنس مع زوجته لأن المشاهدة عنده تفوق الفعل (وهنا يندرج الأمر تحت تصنيف وتشخيص العطل الجنسى، والشذوذ)، بمعنى أنه يتماهى (يتوحد) نفسياً وجنسياً مع هؤلاء الرجال، لكن لماذا أكثر من واحد؟ لأن كلاً منهم مختلف وبالتالى فإن عجينتهم قد تشكل شكلاً ومسخاً يقوم بالمهمة، ثلاثة أجساد مختلفة مثلاً، بثلاثة أنفس، ثلاث طرق للممارسة، إيحاءات وإيماءات وردود فعل مختلفة، آهات وتأوهات مختلفة، ومن ثم ردود فعل مختلفة لدى الزوجة (الضحية).

إن هذا الرجل من وجهة نظرى - يعانى من خوف شديد من الفشل الجنسى، الفشل فى الأداء، لو أداه بمفرده، أو بالشكل العادى المتعارف عليه ومن ثم فانه يستخدم أدواتاً هى رجال آخرون - يتغيرون حتى تختلف ردود الفعل وتختلف الأمزجة، وكاميرا تسجل اللحظة بالصوت

والفعل والصورة، ومن ثمَ ترصد الحدث كاملاً مع التركيز على المناطق الحساسة كما ذكر التحقيق حتى يشبع هواه، وهو أيضاً يعانى من خوف من الحميمية، وعلى الرغم من عدم لقائى أو فحصى النفسى لهذا الرجل فإننى أستند فى رأيى على أن "الخوف من الحميمية" الخوف من الاقتراب من الزوجة نفسياً وذهنياً، الخوف من الكشف عن الكامن والمكبوت ومن ثمَ الابتعاد عن سخونة العواطف والاقتراب من إثارة الفعل، وفعل الإثارة. المخاوف من الحميمية لا تخرج إلى العقل الواعى، لا تجد طريقها السهل إلى الشعور على عكس التوترات اليومية بما فيها توتر العاجز جنسياً الذى يفقد قوته لخوفه من الفشل وهؤلاء الناس يعانون من مشاكل تتعلق بدرجة اقترابهم العاطفى وقبولهم من الآخرين أثناء مرحلة الطفولة قبل أن يتكون الإحساس الجنسى البالغ. من ناحية أخرى فإن مشكلات الحميمية تعد نتاجاً للعجز فى تطور الشخصية، هؤلاء لا يتطورون بحيث يتملكون (الصدق الأساسى) تجاه والديهم أول الناس الذين يكونون معهم علاقة إنسانية.

المحور الثانى : ويتعلق أساساً بأصول الشذوذ الجنسى أو (الجنس المنحرف، غير العادى، غير المقبول) هذا الموضوع لم يفهم تماماً بعد على مستوى البحث العلمى، لماذا يتجه بعض الناس، رجال ونساء إلى طرق غريبة، غير عادية، منحرفة، شاذة لممارسة الجنس، أدى هذا إلى نظريات كثيرة تتنافس فيما بينها لتقديم الرؤية الأكثر قبولاً، وهى رغم تنافسها ذلك لا ينفى أحدها الآخر، لكنها تكاد تكون مكملة لبعضها البعض، ومع هذا فمن المفيد لفهم هذه الظواهر – غير العادية – أن نتناول تلك الأسباب من الواقع النظرى واحدة تلو الأخرى بمعزل عن ضمهم كلهم فى حزمة واحدة. إن الناس يختلفون بشكل كبير جداً فى أحاسيسهم الجنسية، فى طاقتهم، فى اختياراتهم للجنس الآخر، طرقهم المفضلة للإثارة، درجة الصراحة مع

الطرف الآخر بما تحوى من كشف عن الفانتازيا، التصورات للجنس الممتع "والمثالى" وكيف يمكن تطبيق ذلك واقعياً، ؟ وبالطبع المحاذير والقيم والقيود والاعتبارات الاجتماعية، الأخلاقية التى تلم وتتداخل وتسد السبيل أمام كل تلك الخيالات ودرجة تطبيقها فى الحياة اليومية.

وهنا يجب التفريق بين الاختلافات العادية بين الناس بشكل عام فى إطار (الجنس المتعارف عليه) وبين الانحرافات المرضية. الأسباب العضوية: (البيولوجية): تعتمد على أن الجنس فى أساسه: الرغبة الاستثارة والأداء لها أصول بيولوجية بحتة، ومن ثمَّ فإن البحث عن الأصول البيولوجية للانحراف النفسى ستكون له فائدة جمة، فلقد وجد البحث العلمى اختلالات فى وظائف بعض المسارات والخلايا العصبية، اتضح ذلك جلياً من خلال دراسات (لرسم المخ) لبعض مرضى (التحول الجنسي) أما التفسير التحليلى النفسى فيميل إلى اعتبار أن شذوذ الكبار سببه صدمة ما فى الطفولة، بمعنى أن التربية المعقدة جنسياً، التى تخوف من كل شيء المبهمة الناهرة، المتزمتة، غير الموضحة، والجاهلة تؤدى إلى صراعات تكبت ولا تظهر إلا عند الكبر وامتلاك الفرصة والمال، الزوجة والبيت، السلطة والنفوذ وكل ما يحيط بالأمر، كما أن هناك نظرية تميل إلى اعتبار الانحراف الجنسى بشتى صوره يستمد أسبابه من انعدام المهارات الاجتماعية مثل الحديث والكياسة وما يتبعها من تصرف جنسى غير لائق.

نعود مرة أخرى إلى ذلك المضيف، صاحب القضية، فهو على المستوى الشعورى متصالح مع نفسه ومتناغم مع ذاته، كل ما يرجوه يفعله، كل ما يتخيله يحققه، لا يهتم بالآخرين، ولا يهمه الآخرون، لا الزوجة ولا الرجال، اللعب، الدمى الذين يحركهم ويصورهم بالفيديو إنه نجح تماماً فى

تطبيق تلك الرؤى الذهنية على أرض الواقع داخل بيته وعلى فراش زوجته وعلى جسدها، إنه لا يحس بالذنب ولا بالخجل ولا بالضعف إن شيئاً ما يعوض أشياء أخرى وتكتمل الدورة دون تعب. الرجال بشكل عام لهم عالم فنتازيا خاص بهم، عالم خيال جنسى واسع، وحينما يتخيل الرجل الجنس فهو حر لإطلاق مركبة خياله دون مراحل، دون قلق، أو خوف، ودون حب، إنه يطلق العنان لنفسه دون قيود أو روابط فى عالم الخيال يكون الرجل حراً، يتخيل ما يريد فعله دون أن ينهره أحد، ودون أن يضحك عليه الناس، وهو، فى خياله، لا يمكن القبض عليه مثل صاحبنا ذلك لأن خياله مجرد خيال، صور ذهنية داخل رأسه، وهى مثيرة ورائعة له، وهو يتعدى الخط الأحمر حين يحاول تطبيق بعضها أو كلها فى الواقع الملئ بالأشواك والمحاذير. الجنس بالنسبة للرجل نزوة، للمرأة هو عشق وحب وغرام، ولأن هذه حقيقة تنطبق على الكثير من الناس إن لم يكن أغلبهم فإن الرجل تعلم أن الجنس يتطلب عملية أخذ وعطاء، لكن فى الخيال يأخذ الرجل فقط، دون أن يعطي، وفنتازيا الرجل لها تنوعات متشابكة تتعلق بالكيفية، بالجو العام، بشكل الفراش، بالفعل نفسه، بأجزاء الجسد، وفى هذا المجال تحديداً يقول العالم النفسى "ويلسون" من خلال بحث متسع على مجموعة كبيرة من الرجال والنساء أجراه عام ١٩٨٧، وجد أن 31% من الرجال يتخيلون عمليات جنس جماعى [أكثر من رجل مع أكثر من امرأة]، بينما وجد أن 15% فقط من النساء يتخيلن الجنس الجماعى (البحث أجرى فى الولايات المتحدة)، كما وجد أن أكثر الخيالات شيوعاً تتعلق بالتلصص ومشاهدة الآخرين يمارسون الجنس، وتتعلق بملابس داخلية تحديداً الساتان والحرير والجوارب الحريمية السوداء كما وجد البحث العلمى أن الرجل يعتمد على تصوره البصرى أكثر من المرأة، فهو قادر أكثر على تذكر تفاصيل الجسد،

السن، الرائحة، اللون، كما يتذكر أيضاً تفاصيل العلاقة الجنسية وملابساتها ومايمكن أن يضفيه من خيالات ويكسو به الأمر بينما تحددت خيالات فى البحث المذكور على الأمكنة التى يمكن أن يمارس فيها الحب كالشواطئ النظيفة ذات الرمل الأبيض والماء الرائق، أو الغابات الساحرة، والشلالات، وبعضها تخيل الجنة كما والطريف أن بعض الرجال تخيل اغتصابه من امرأة (بالطبع هذا مستحيل دون تحقيق الرجل للانتصاب ومن ثم فان الأمر لايعدو كونه رغبة فى الوقوع فى شرك الإغراء، كما أن الباحث "جلن ويلسون" وجد فى بحثه ذلك أن هؤلاء الذين يحولون خيالاتهم أو بعضها الى واقع يمثلون نسبة عالية جداً؟!

عندما يختار رجل ما امرأة ما زوجة له، تتكون فى ذهنه صورة ما تعتمد على فلسفة ما هى تجميع لأفكارهن تربيته، أحلامه، وآلامه، وخلف أسوار هذا العش تتولد الأكاذيب والأوهام والاحباطات والخداع. أما أن يدخل هذا العش رجال وكاميرا فيستحق الأمر التوقف طويلاً والدراسة المتعمقة وربما كاد الأمر أن يكون محصوراً، وجسد وعقل هذا الرجل ومثله كثيرون لكنهم لايقعون فى قبضة البوليس ولا تشتكى زوجاتهم، على وجه الأرض يسير ويسعى أعقد مخلوق، يتناسل، يعيش ويموت.

يعتذر شادى الجزيرى * (مجلة إحنا – أبريل ٢٠٠٦) لأحمد فهمى تاجر الحشيش بقوله: (أسف لأنى انتقدتك فى زمن الحشيش فيه بقى شيء عادى "Life Style" زمن "الشذوذ الجنسي" فيه بقى أحد مظاهر التحضر، وحرية التعبير "زمن الـــ ring tones") كان هذا فى ٢٠٠٦ ، أما فى ٢٠٠١ فلقد طلعت علينا أجهزة الأمن بضبطيات لها خاصية إعلامية (مفرقعة) مثل (تنظيم عبدة الشيطان) و تنظيم (أبناء لوط) ، ويفسر بعض الخبثاء ظهور تلك التنظيمات على أنها "معادل موضوعي" لتنظيمات دينية متشددة بمعنى أن الحكومة تقبض على الانحلال و الفساد ، وكذلك على من يتبنون الفكر الدينى المتعصب ؟! ويبدو كذلك من سياق الأخبار والتحقيقات أنه لا كان هناك تنظيم (عبدة الشيطان) ولا تنظيم (أبناء لوط) كما سموّه.

يقول محمد الباز فى حواره مع المؤلف (صوت الأمة ٢٠٠١/٥/٢٣) وتحت عنوان (أبناء لوط لا يختلفون عن أبناء التنظيم والهجرة) ، يحدد الباز حسب مصادره ما يوحى بأن التنظيم (ما هو إلاّ مجموعة من أبناء الأثرياء يمارسون جنساً شاذاً، و أفكاراً دينية منحرفة) ولا نعرف مدى الربط بين هذا وذاك ، عموماً مع الإدراك إن الدين يحرم العلاقة المثلية بين أبناء نفس الجنس، فإن الربط جاء إعلامياً مثيراً، مستخدماً تعبيراً دينياً (قضية قوم لوط)، مشيراً إلى أن النيابة العامة قد باشرت تحقيقات موسعة مع ٥٥ شاباً كونوا تنظيماً يمارس طقوساً غريبة على المجتمع المصرى قلت يومها إن المجتمع المصرى، تزعزع وكشفت عوراته (مؤمناً أن مسالة الشذوذ الجنسى قديمة جداً ولكنها كانت المسكوت عنه ، أى ما يكتم عادة

فلا يقال) وفسرت بأن الإدعاء بكشف مثل هذا (التنظيم) هى محاولة جاهدة للتأكيد على أننا مجتمع نظيف ومتدين ، نضبط ونحاسب ونحاكم (هؤلاء الشواذ) مع العلم أنه قد تم لاحقاً حفظ تلك القضية ربما حرصاً على عدم خدش الحياء العام أو لاعتبارات مجتمعية سياسية أخرى، أو للحرص على سمعة (الأثرياء) فى مصر الحديثة ، وفى مقابل ذلك فان المجتمع الحالى يبدو مترهلاً ضعيفاً، باختصار لم يعد مثلما كان فى عصور ازدهاره ، ففى الستينيات مثلاً كان الجنس يستخدم فى السياسة، وكان الشذوذ الجنسى (سلوكاً واضطراباً) ينال بعض المشاهير، ويتداول العامة موضوعات الشذوذ تلك بكثير من التندر أو التقزز حسب الحالة النفسية للشعب ، لكن فى المقابل كانت هناك فى الستينيات نهضة قومية ، صناعية ، بناء ، حركات طلابية ، ثقافة مزدهرة ، مسرح قوى ، سينما طموحة ، أما ومنذ نهاية التسعينيات فثمة مجتمع يتفسخ تمزقة أمور تنال من الأخلاقى ، تطرف دينى وفكرى ، انحطاط عام ، تدن فى الذوق العام و الخاص ، ضَرْب كامل لكل صوره الديمقراطية على الرغم من كل الادعاءات بعكس ذلك. تساءل من الباز (نفس المصدر السابق) : أن الانحراف يأتى هذه المرة فى صورة شذوذ جنسى ، لدرجة أن المجتمع أصبح يتحدث عن الشذوذ و الشواذ ببساطة ، وهو الأمر الذى يحدث لأول مرة ، أليس لذلك دلالة معينة ؟ أجبت قائلاً — والله الشذوذ موجود فى كل مكان من زمان ، وكذلك التجمعات الشاذة ، و الشذوذ الذكرى تحديداً مثله مثل أى اضطراب نفسى جنسى (على الرغم من اعتراض جهات غربية علمية وأخرى تعنى بحقوق الإنسان على هذا التصور) له نسبة محدودة من عدد السكان ، وله نوعان ، واحد مكتسب والآخر فطرى بمعنى أن النوع المكتسب يأتى نتيجة اعتداء متكرر فى الطفولة يتحول إلى نوع من التعود العضوى بمعنى أن تصبح المنطقة

الشرجية بؤرة لذة ، و النوع الآخر فطرى بمعنى أن يولد الإنسان بيولوجياً وبه خلل ما (عضوي) بمعنى تركيبية، هرمونية، ذهنية، جسدية ما وهذا ما يسميه العلماء بالقوة الثالثة (Third Force) ويعتقد أنها تكون موجودة جينياً داخل الرحم ، وهذا النوع قد يتعرض (أو يعرض نفسه) للاعتداء من قبل ذكور أكبر منه، وغالباً ما يحدث ذلك فى الحالتين ما بين سن السابعة و التاسعة ولكن ذلك لا يعنى أن كل ولد أو أى ذكر يتعرض للتحرش أو الاعتداء فى سن صغيرة يصبح شاذاً ..لا... عموماً سنفصل، وسنشرح لاحقاً ذلك الأمر أكثر .

عودة إلى حوار المؤلف مع محمد الباز"[٢٣]" عندما وجه إليه سؤالاً غريباً ــ هل الشواذ الأثرياء مرضى إذن ؟

فى الحقيقة أن الشذوذ يحدث بين كل الطبقات ، ولكن – أحياناً – وفى ظروف معينة قد يكون بين "الأثرياء" جزءاً من "الرفاهية"، وكما تصورت إحدى السيدات المتزوجات فى سذاجة منقطعة النظير (أنهم ربما زهقوا من ممارسة الجنس مع البنات و النساء فتحولوا إلى ممارسته معا، يحققون ذواتهم بصرف النظر عن انتمائهم الحسى ورغباتهم الجنسية الرجال؟!) لكن فى تلك الحالة (المرفهة أو الثرية) قد يكون – ربما – نوعاً من الفانتازيا أو التجريب و العبث ويراه البعض منظماً للاعتبار الذاتى بمعنى أن هناك الكثير من المبدعين (مخرجون ، فنانون ، كتاب وممثلون) ويرى البعض أيضاً أن تلك المثلية الجنسية جزء من تركيبتهم الناجحة، سأل محمد الباز عن استقبال المجتمع لأخبار الشذوذ و الشواذ بشكل شبه عادى وهو أمر جديد علينا ، أجبته بأن هناك ما يسمى نزع الحساسية أى أن المجتمع قد

[23] نفس المصدر السابق.

أصبح مكشوفاً للعالم من خلال الانترنت و الفضائيات وكثرة السفر و الترحال ، بجانب أن الناس يعتقدون أن الشذوذ هو مجرد علاقة جنسية بحته وهو أحياناً كذلك أى مثلما فى حالة الجنس لمجرد الجنس بين الرجل و المرأة ، لكن ما يجهله الكثير أن هناك علاقات مثلية (بين أفراد الجنس الواحد) رجال ورجال أو نساء ونساء يسودها الحب والعشرة و العيش سوياً ، يأكلون معاً ويخرجون معاً ، يذهبون إلى السينما سوياً ، لكن المثير للاهتمام أن المجتمع يهتم – مثلاً – بأخبار الشواذ الأثرياء فى حين أنه لا يعير شواذ الشوارع وتحت الكبارى و السجون أى اهتمام .

من المضحك فى ذلك الخبر وذاك اللقاء أنه قد قيل أن "أبناء لوط" ينتظرون "أبو نواس" نبيهم المخلص وهى فكرة أعتقد (إعلامية) يعيش عليها الناس ويصدقونها من باب أن لكل جماعة أو تنظيم دينى نبيًّا ومرشدًا و أميرًا ومخلصًا ، وقد يفهم ذلك فى أطار ضياع الشباب، ميوعة أهدافهم ، واغترابهم الشديد .

ماذا يتزوج بعض الرجال الشواذ جنسيا
على هامش رواية عمارة يعقوبيان "٢٤"

"أن تتظاهر بما هو ليس حقيقي، قد يبدو أن ذلك هو كل ما تبقى لك لكن أن تستمر فى هذا التظاهر حتى نهاية عمرك، فإن ذلك هو العذاب بعينه" ــ هكذا قال تشايكوفيسكى بعد زواجه من تلميذته أنطونيا عام١٨٧٧،وعبد ربه (عبده)، جندى الأمن المركزى الذى لم يكن بطبيعته شاذاً جنسياً، وإنما دخل إلى اللعبة وتورط فيها مع حاتم رشيد الصحفى الشاب بمزاجه، ومن الطفولة بعد أن أحدث فيه طباخه النوبى (إدريس) بؤرة متعة جنسية، شرجية (رواية عمارة يعقوبيان - د.علاء الأسوانى). فى الرواية أبدع الأسوانى فى تشخيص حالة الصراع ومحاولة إخفاء ممارسة الشذوذ الجنسى لدى عبده عن زوجته لكنه لم يفلح، ودلف بسرعة إلى دائرة الإحساس بالذنب والألم، مما أدى به فى النهاية إلى العنف الدموى الشديد، إلى هجر الأفندى الذى يغدق عليه المال والخدمات، وإلى ترك المكان والزمان.

لكن هناك على سطح كوكب الأرض، الكثيرين ممن لهم ميول وممارسات شاذة جانحة وغير طبيعية تتناول النفس، والجنس، وأشياء أخرى ظاهرة وخفية.

(عبد ربه) كما ذكرنا سابقاً لم يكن بطبيعته شاذاً جنسياً، لكنه مع مرور الوقت اكتسب الشهوة واللذة الآثمة والدفينة، ليس فقط من أجل المكاسب المادية، لكن من أجل مكاسب نفسية وجنسية، لكنه و بعد زواجه

---

[24] المؤلف صوت الأمة ، مصر ، ١٣ أغسطس ٢٠٠٢.

وبعد خلفته وبعد موت ابنه الرضيع مريضاً، تفجر داخله الصراع الرهيب الذى صوره علاء الأسوانى أروع تصوير انفعالى ووجدانى: (ظَل عبده واقفاً فى وسط الحجرة حتى استجمع الأمر فى ذهنه، ثم أصدر صوتاً غليظاً أشبه بحشرجة حيوان متوحش غاضب وانقضْ على حاتم يركله ويلكمه بيديه وقدميه، ثم أمسك به من رقبته وأخذ يضرب رأسه فى الجدار بكل قوته، حتى أحس بدمه ينبثق حاراً لزجاً على يديه).

من الواضح أن حاتم رشيد، حينما كان صغيراً، لم يكن شاذاً بالفطرة، لكنه كان على ما يبدو كان على استعداد، فلم يشعر حاتم بنفور أو خوف عندما قبله إدريس، وكان حاتم فى التاسعة، شعر بالخجل والارتباك عندما طلب منه إدريس أن يخلع ثيابه، ويقول الأسوانى هنا](وعلى الرغم من شهوة إدريس و عنفوانه فلقد دخل إلى جسد حاتم برفق وحذر وطلب منه أن يخبره إذا أحس بأدنى ألم)، (حتى أن حاتم عندما يسترجع لقاءه الأول بإدريس، لا يذكر أبداً أنه تألم) ـــ مما يدل علمياً على أن حاتم رشيد كان لديه الاستعداد البيولوجى لأن يتحول، يتشكل، ويتكون مثلياً جنسياً (شاذاً).

عودة إلى عبده الذى تحول أيضاً إلى شاذ عندما اصطاده حاتم وأغواه، وعبده أيضاً كان لديه الاستعداد النفسى والمادى لتقبل الأمر، وهو ما يوضحه المؤلف بقوله عن عبده (صار أكثر تقبلاً لعلاقتهما، ذهب النفور الأول، وحل مكانه اشتياق لذيذ آثم، وكان هناك أيضاً المال والعز والثياب الجديدة والأكل الفاخر والأماكن الراقية التى لم يحلم عبده بدخولها يوماً) وهو أيضاً ما يتأكد بالتجربة الشاذة مع تكرارها، وتذوق لذتها تتحول شيئاً

فشيئاً إلى شهوة أصيلة عند الشاذ البرغل (الفاعل)، مهما كرهها ونفر منها فى البداية] .

(علاقته بزوجته هدية ظلت متوترة، كانت سعيدة بحياتها الجديدة الرغدة، لكن شيئاً ما، عميقاً وشائكاً ظل يضطرم بينهما، يعلو يخبو ويتوارى أحياناً لكنه دائماً موجود، عندما يأتى إليها فى الصباح بعد ليلة قضاها مع حاتم، يكون مرتبكاً وعصبياً، ويتحاشى النظر إلى عينيها ويعنفها بشدة على أقل هفوة).

ميكانزمات دفاع نفسية، وحيل عقلية تتمحور حول الإحساس بالذنب، العدوانية المختبئة ـــ على الذات تتحول إلى إسقاط على الزوجة، التكوين الضدي، فعل ظاهر مضاد لفعل باطن مخجل ومخز. هذا هو بالفعل الشاذ المتزوج، والسؤال الحار القاسى الآن هو لماذا يتزوج؟ لمجرد التحمل اجتماعياً؟ ترى ما هى الآثار المترتبة عن ذلك الزواج؟ هل هى مجرد صراعات نفسية شديدة الوطأة؟ أم أن مسألة الشذوذ تلك هى حجر عثرة ضخم فى طريق تحقيق التناغم الزواجى يعتقد أن الشاذين جنسياً يتزوجون استجابة لـــ "ضغط اجتماعى" فى مجتمع يكون فيه الشواذ أقلية ومنبوذون، وهنا فإن الشاذ المتزوج يدخل إلى نفسه وفى عمقها المجتمع بكل ضغوطه وعذاباته ومتطلباته، وهو هنا لديه إشكالية مزدوجة تتعلق بالتكيف مع مجتمعه والبيئة المحيطة به (الأولى تتعلق بما يفضله هو جنسياً؟ عشيقه (الرجل) وما يفضله المجتمع، العادات، التقاليد، الأخلاق، (المرأة) ـــ (الزوجة) ـــ العلاقة (السوية) ـــ والعلاقة (الجانحة) ـــ العلاقة المتشكلة مع زوجة لا يعرفها تماماً وأمامها علاقة مع (رجل) يعرفه جيداً بل يعشقه يستثمره مادياً. علاقة تكررت فاستمرأها.يتزوج الرجل الشاذ جنسياً استجابة صريحة

لضغوط اجتماعية لا يتمكن من تجاهلها منها أصدقاؤه وعائلته؟ وربما خطيبته، يتزوج أيضاً فى محاولة صريحة لمسح وطمس وإخفاء (جنوحه الجنسى المثلى) ويتزوج الرجل الشاذ كذلك لرغبته ــ فعلاً ــ فى الالتقاء بأنثى وفى تكوين عش زوجية، (زوجة وأولاد)، بمعنى رغبة جامحة للهروب من (جحيم) العلاقة المثلية: إن نقول أن رجلاً ما شاذاً جنسياً ــ بمعنى أنه يفضل العلاقة الحميمة مع رجل مثله على العلاقة مع امرأة ــ أو أنه لا يخلص إلا لعلاقته مع الذكر ــ فقط ــ لكن لب الموضوع هنا هو (استثمار المشاعر المثلية الشاذة) فى علاقة ذات أهمية، لها معنى وفحوى ومحتوى. وفى دراسة بلجيكية لاحظ الباحث (روس) أن بعض الرجال كان لديهم إحساس واشتياق وجاذبية تجاه الرجال قبل أن يتزوجوا نساء استجابة للعرف العام، لكن الرجل ذو الميول الشاذة ــ يجد نفسه قد تقدم فى العمر، وأن كل أصدقائه تقريباً قد تزوجوا وهو لا يزال دون سبب واضح عازباً ووحيداً يحارب نزعاته غير المقبولة، وهو خائف من إقامة علاقة مع رجل تحنباً للآثار الوخيمة، وهو غيور من زملائه الذين يصادقون نساء ويخطبون بناتاً زى الشربات ويحكون عن غرامياتهم فى استرسال واستمتاع لا حَد له.

فى دراسة أخرى تناولت ستين رجلاً شاذاً، جنسياً، متزوجاً فى كاليفورنيا، تركز البحث حول الكوامن والأسباب خلف قرار الزواج خاصة فيما يهم الأمر الاجتماعى "تبين أن الشاذ عندما يتربى ويترعرع فى مجتمع معاد للشذوذ فإنه يختلط ويتعايش مع الآخرين (العاديين)، ولا يختلط بمن هم مثله من الشواذ ويلعب دوراً نمطياً عادياً يحوى فى إطاره الزواج من امرأة. والرجل ذو الاتجاهات والميول الجنسية (الشاذة) تجاه جنسه يواجه بصعوبات وعقبات تجعله حائراً فى وصف نفسه وتحديد هويته، ومن ثَم فهو يفتقد إلى القاموس اللغوى الاجتماعى والنفسى الذى يمكن أن يفسر به

نفسه، ويضطر هنا إلى استخدام مفردات طبيعية تحوى الإعجاب بالمرأة والحديث عن فتنتها مثلاً ، ونجد الرجل الشاذ فى مرحلة تطوره النفسى الاجتماعى تلك يتعرض لثقافة تكاد تؤكد على أن الرجل الشاذ لازم ولابد أن يكون مخنثاً (مع أن ذلك ليس حقيقياً)، أوأنه يلبس ملابس نسوية رقيعة (هذا نادر)، أوأنه يجب أن يغرم بالغلمان (ليست هذه هى الحالة دائماً) مما يخلق نموذجاً للرجل الشاذ، قد يكون بعيداً عن الحقيقة والواقع بمعنى أن الرجل الشاذ أو ذا الميول الجنسية المثلية قد يبدو عاديا جدا، ورجلاً جداً لكنها نفسه وروحه وعقله التى ترغب فى إقامة علاقة مثلية مع مثيله الرجل.

تطرح دراسة أخرى مسألة (التناقض الاجتماعى الحاد) حيث يتأكد — خطأ — عند بعض الناس أن الرجل الشاذ — لازم ولا بد أن يمارس الجنس مع رجل آخر، وهذا هو كل الأمر، وأن الرجل الشاذ إذا ما مارس الجنس مع امرأة انتفت مسألة الشذوذ من عنده، فى تلك الدراسة تبين أن ٤٨ فى المائة من عينة الرجال الذين وسموا بالشواذ، مارسوا الجنس الكامل مع نساء فى مرحلة ما من حياتهم. المسألة إذاً معقدة ومركبة وتحتاج إلى أسئلة عميقة تركز على هذا الأمر ولا تخرج عن ستة محاور:

١-الرجال الشواذ جنسياً — المتزوجون — أقل فى مقاومتهم النفسية للضغوط الاجتماعية، وأنهم أقل تكيفاً (نفسياً) مع واقعهم المعاش.

٢ - إن هؤلاء الرجال الشواذ الذين أحسوا بميولهم نحو الرجال قبل زواجهم من نساء، تزوجوا من أجل خفض درجة التوتر المتعلقة بشذوذهم.

٣ - إن هؤلاء الرجال الشواذ المتزوجين يظهرون تقبلاً للتقاليد العامة خلافاً لهؤلاء الرجال الشواذ الذين لم يتزوجوا قط .

٤ – إن معظم الرجال ذوى الميول الشاذة جنسياً قد تزوجوا قبل سن الـ ٢٥، وأن وحدتهم، وعدم قدرتهم على التمازج مع مجتمعهم كانت أكبر الأسباب وراء زواجهم.

٥ – إن هؤلاء الرجال ذوى الميول الشاذة جنسياً قد حاولوا جاهدين تغيير تفضيلهم، وإحساسهم الجنسى العام من الرجال إلى النساء، وبذلوا مجهوداً فى هذا الصدد.

٦ – إن أهم الأسباب لزواج الرجل الشاذ تكمن فى الضغوط الاجتماعية، الأسرية، وأيضاً من المرأة التى قد تكون أحبته وارتبطت به.

* ومن هنا تنبع ثلاثة تساؤلات تتعلق بآثار زواج الرجال الشاذين جنسياً أو ذوى الميول الشاذة:

١- إن قسماً كبيراً منهم قد اكتشف ميله نحو نفس الجنس الآخر (المرأة) ، وإن زواجه من أنثى بين ووضح وفسر له الفرق فى الرغبة والاتجاه إلى كل من الجنسين، ودرجة رد الفعل الاجتماعى فى الحالتين، وكذلك درجة التكيف النفسى قبل وبعد الزواج.

٢- إن الرجال الشاذين جنسياً قد أخفوا ميولهم الجنسية نحو الرجال أمثالهم ــ خاصة ــ بعد زواجهم، وجعلوا الأمر سراً مطلقاً.

٣- إن درجة التوتر العالية، وعدم القدرة على التأقلم الاجتماعى والتكيف النفسى لدى الرجال الشواذ المتزوجين، إنما هى نتيجة الزواج وجميع الضغوط المتعلقة به، وليس الخوف، أو الفزع، أو الحرج من اكتشاف ميولهم الجنسية نحو الذكور.

* **السؤال المهم هنا هو:** هل يلجأ الرجل الشاذ جنسياً إلى الانفصال أو الطلاق عن امرأته أحياناً؟

نعم ولكن ليس بدرجة أكبر من الرجال (العاديين) الذين يتزوجون وينفصلون لأسباب شتى لا تتعلق بالشذوذ أو حتى الميول غير الطبيعية، لكن وجد أن انفصال الشواذ مرتبط بدرجة أعلى من الإكتئاب وعدم تحمل القدرة على العيش مع امرأة. من الطبيعى ألا يترك موضوع الشواذ الرجال إلا وتبقى ضرورة علمية لمناقشة موضوع الرجل الثنائى الرغبة الجنسية Bisexualأى الرجل الذى يعشق المرأة، ويحب الرجل بل و له علاقات جنسية كاملة مع كل من الجنسين، ولا يجد غضاضة فى ذلك، والإزدواجى الميل الجنسى مختلف عن (الخنثى): الإنسان الذى يحمل تشريحياً بعض، من أعضاء الرجل وبعضاً من أعضاء الأنثى التناسلية وهنا فإن الـــــ Bisexual يستمتع بالعلاقة العاطفية، والجنسية مع كل من الرجل والمرأة؟ لكن هل يفضل ذاك حباً عن الآخر؟: تحدد المسألة مجموعة عوامل منها رؤيته لنفسه، وضعه الاجتماعى، نشاطاته، رغباته، دوره الوظيفى، الأسرى والاجتماعى، وهنا وبكثير من الحذر يمكن القول إن (عبده) فى رواية الأسوانى (عمارة يعقوبيان) ثنائى النشاط الجنسى لكنه ـــ غالباً ما يفضل المرأة على الرجل، وإلا لما انتابه ذلك الإحساس العظيم بالذنب وذلك الغضب القاتل تجاه رفيقه الجنسى (حاتم رشيد)، وهو أيضاً غير تقليدى ،لأنه تمكن فى زمن واحد من أن ينام مع امرأته لتحمل منه ويستشعر اللذة وينام أيضاً مع رجل، نام معه قبل امرأته ولا تصيبه العنة ولا النفور بل ربما كما هو واضح بين السطور أنه يظل فاعلاً ومستشعراً اللذة الآثمة والشهوة الدفينة، لكن من مضمون ذلك يتبين لنا اصطلاحاً مبهماً ألا وهو "الثنائى الجنسية الدفاعي" Defense Bisexual أى أنه يدافع عن رجولته بأن تكون له علاقة مع امرأة، ويدافع عن شذوذه بإبقاء علاقته مع رجل،

وهؤلاء الرجال لا يقرون، ولا يودون أن يقال عنهم أنهم شواذ يفضلون وصفهم بأنهم طبيعيون ذوى ميول جنسية غريبة؟

فى الغرب يجد الرجال الشاذون الشجاعة لإخبار زوجاتهم المرتقبة بشذوذهم، وهنا تكون الأمور أكثر وضوحاً، وأقل شدة، أما الرجال الذين يستمرون فى الحفاظ بأسرارهم، يتوترون وتصيبهم الكآبة والانغماس داخل أنفسهم، وهذا ما حدث لعبد ربه مع زوجته هدية فى عمارة يعقوبيان.

الجنوح (الشذوذ) الجنسى
محاولة تحليلية نفسية للفهم

نظرية الطاقة النفسية الجنسية (Libido Theory) صاغها فرويد عام (١٩١٥) حيث أكد على أن الدوافع الجنسية الطفولية تبدأ فى السنوات الخمس الأولى من حياة الإنسان، على عكس ما يعتقده الكثيرون أنها تبدأ مباشرة بعد البلوغ. تلك الدوافع لها غرض وهدف وترتبط لا شعورياً بمتناقضات مثل: الإيجابية، السلبية، النظر إلى.. واللمس، السادية، والماسوشية. الهدف هو جسم الطفل، والهدف الخارجى هو صدر الأم.

فهم وتعريف: الجنوح لا يختلف عن الطبيعى فى القوة، أو محتوى الطاقة الجنسية ولكن فى درجة تثبته وقصوره التام على أغراض معينة، الغير الطبيعي، الجانح، أو الشاذ يعنى تفضيله الجنسى لأمور وممارسات معينة غير اللقاء الجنسى مع شريكته أو شريكه وللوصول للرعشة (Orgasm).

نتيجة لذلك وأهم عناصر الرغبة التسلطية وثباتها هى أن الشخص ليس له خيار فكل ممارساته الجنسية قهرية تتسلط عليه، على فكره ورغباته بالتالى جسده، وهنا فإن التعبير عن الشهوة لدى (الشاذ) علامة مهمة لثباته النفسي، وأن حياته كلها تقريباً تدور حول هذا المحور، وهنا يجب التفريق بين السلوك الجانح، وبين اضطرابات محددة (متلازمة أعراض شاذة) Pathological Syndrome of Perversion

فى الجنوح تكون هناك سلوكيات متكررة ثابتة تؤدى إلى الرعشة الجنسية (Orgasm) ، كلما تكررت زادت قوتها وتثبتت. كما أن الانشغال الشديد بالمسألة يؤدى إلى الرغبة فى النظر أو استعراض الأعضاء التناسلية،

وأن يمارس الألم ويحس به، وممارسات أخرى غريبة يكون الهدف منها التوحد مع الجنس الآخر، والنتيجة أن العلاقة الجنسية الكاملة تصبح مستحيلة، غير مشبعة بدون شيء غريب أو شاذ.

المجموعة الأولى من (الجنسيين المثليين)

غالبا ما تكون الممارسات والأحاسيس حبيسة الخيال والفكر، لكنها ـــ أحياناً ما تأخذ أشكالاً خفيفة وسطحية من العلاقة مع الآخر..أحيانًا ما يهرب (المصاب) من علاقة فاشلة مع الجنس الآخر إلى علاقة مثلية مع جنسه الذكري، يحس بالذنب الشديد لممارساته الشاذة جنسياً، ويتألم نفسياً للغاية، مما يؤثر على علاقته بـــ (حبيبه) ... ويؤدى ذلك إلى هجر (صديقه) له ... فى تلك الحالة توجه إلى محلل نفسى عميق واستجاب جيداً للجلسات ولما انتهى علاجه تزوج وأنجب أطفالاً وشق طريقه فى الحياة بنجاح: بعد عشر سنوات لم تراوده أى أحاسيس جنسية مثلية (شاذة ـــ غير طبيعية)، ومن وصف الحالة يتضح أنها حالة عادية كلاسيكية نمطية لعُصاب نفسى يستجيب للتحليل والحوار.

هنا فإن حدوث السلوك الجنسى المثلى كعَرَض بديل متعارف عليه عالمياً، ويهتم به المعالجون بمعنى أن العلاج فى هذه الحالة يكون سهلاً بمحو وإزالة الغرض الأساسى. وفى حالة أخرى كان يتم العلاج تحت تعليمات مشددة بالامتناع عن إقامة علاقات جنسية مما دفع المريض إلى نوبات (ربو) مستمرة ومقلقة للغاية، وكأنها تعبير حى عن الصراعات والعدوانية الكامنة داخل نفسه، وأحياناً ما يقنع المريض نفسه أنه (مثلى،جنسى Homosexual) ويتصرف على ضوء هذا الاعتقاد، ومن الطريف أن حالة (البواسير) التى موضعها فتحة الشرج تتكرر فى حالات الشواذ المعترضين على ما يحدث وكأنه أيضاً اعتراض من الجسد أو من بؤرة الشهوة البديلة.

المجموعة الثانية من الجنسيين المثليين:

يندرج تحت لوائها كل حالات (الشذوذ) الحقيقى، ويكون الاضطراب عميقاً والدفاعات النفسية والحيل الثانوية، يعمّ هؤلاء الاكتئاب كعرض حاضر والإحساس بالذنب لا يظهر جلياً ولا يؤرق صاحبه. غالباً ما تتمحور الدفاعات النفسية حول الهروب من إحساس طاغ بالانفصال عن الآخر، رعب من تدمير الذات، وتفكك الأنا، وتظهر هنا سلوكيات انفعالية، توحد مع الجنس الآخر، سلوك جنسى منحل (لا يرتبط بحبيب أو بشخص واحد)، علاقات عابرة قصيرة الأمد، عدم الخوف من الفضح (بمعنى لا مانع — مثلاً — من تجربة علاقة جنسية فى المراحيض العامة أو فى أماكن غير خاصة؟!).

هؤلاء الشواذ الحقيقيون يسعون إلى العلاج النفسى للتخلص من أعراض، ومشاكل، ومتاعب تتعلق بالعمل أو بحياقم الشخصية. وفى العلاج هم لا يريدون تحويل رغباقم من نفس الجنس إلى الجنس الآخر.

العلاج صعب نظراً لتفاعل عدم التأقلم الجنسى مع اضطرابات النفس (الأنا). وغالباً ما يركز العلاج على أحاسيس الوحدة، العزل، الغربة، العدوانية.

المجموعة الثالثة من الجنسيين المثليين:

(الثنائى الرغبة للذكر والأنثى Bisexuality)

هنا يجب التفريق بين الثنائية الجنسية الحقيقية، وتلك التى يمكن أن تكون محض خيال فقط، بمعنى الانخراط فى علاقات جنسية حقيقية تحدث

المتعة والشهوة مع الجنسية. علماً بأن كل جزء (ذكرى) وجزء (أنثوى) فى تركيبة شخصيته بل، وفى الهرمونات، وجاء اهتمام الباحثين فى هذا المجال بعيداً عن التفسير البيولوجى وتركز على التوحد مع الجنسين فى آن واحد، وتبين من الفحص الطبى النفسى لتلك الحالات (Bisexuals) أن لديهم صعوبات فى علاقاتهم مع الآخرين، فى نشاطاتهم الاجتماعية ومشاكل فى العمل نتيجة، محاولاتهم كبت (أنوثتهم) أو (ذكوريتهم) التى يحسونها كمصدر تهديد أو خطر لسلوكياتهم الاجتماعية. والأمر جدّ مرهق وطويل الباع ويحتاج إلى تفصيل أكثر.

خلاصة القول فيما يخص المثلية الجنسية (Homosexuality) إنها فسيحة جداً، عميقة للغاية، تحتاج إلى تمحيص، وفحص دقيقين بالأخص موضوع الثنائية الجنسية (Bisexuality) مما يترع عنها الغموض الاجتماعى والأخلاقى فى محاولة للفهم الأصيل والمتحدى بعيداً عن الاعتقادات الخاطئة والأحكام السريعة المشينة المتوقعة من هؤلاء (الطبيعيين والعاديين).

الماســـــوشـــــــية
MASOCHISM

يجب التفرقة بين المازوخى الحقيقى(True Masochist) وبين ما لديه علامات ماسوشية، الحالة المعروضة حالة حقيقية مازوخية وهى مشكلة نفسية صعبة للغاية، ولتشخيص المازوخية يجب اعتبار التالى :

١ــ شكوى دائمة واستمرار فى الأنين الذى يعكس حالة من المعاناة الداخلية العميقة والمزمنة.

٢ــ فكرة قهرية لاستفزاز الآخرين أو استمالتهم لكى يقوموا بالتعذيب وردود فعل عنيفة ويكون العنف هنا مريحاً للغاية.

٣ــ طريقة المشى (الخطوة) تكون غريبة بعض الشيء و (ثانوية) لحالة توتر شديدة.

٤ــ احتياج مزمن لتدمير النفس وإذلالها.

٥ــ احتياج شديد وزائد عن الحدّ للحب يأتى من الخوف من (الهجر) أو أن (يترك وحيداً)، احتياجه للحب والدفء والحنان لا حدود له وغالباً ما يحس الماسوشى بالبرد فهو يفضل السرير الدافيء.

معظم المازوخيين لا يظهرون علامات جنسية (جانحة).

الماسوشية الجنسية :

أهم عنصر فى هذا الاضطراب هو التوق الشديد إلى جنى الإشباع الجنسى من تجربة الإذلال، أو المعاملة القاسية للغاية، ولقد لوحظ أن عدداً من الناس يتعاملون فى إطار سلوكيات (سادية ــ ماسوشية Sadomasochistic Behaviour).

لكن يجب التفرقة بين من يعانى من خيالات سادية ماسوشية، وبين الماسوشى الحقيقى كما يجب التفرقة بين بعض الممارسات التى قد تبدو فيها بعض السادوماسوشى خلال التفاعلات الجنسية العادية بين الرجل والمرأة. التشخيص، والتصنيف العالمى للإضطراب يحدد الأمر بأنه اضطراب جنسى متكرر يحوى شهوات جنسية عنيفة، وأفكاراً وخيالات جنسية مثيرة، مع ضرورة أن يمر الإنسان بتجربة جنسية مازوخية حقيقية (لا متخيلة) يحدث فيها إذلالاً، ضرباً، إهانة، ربطاً، وما إلى ذلك من دواعى التعذيب، غير أن تلك الرغبات والشهوات تكون معذبة جداً للفرد على الرغم من متعته عند أدائها وتختلف درجات الممارسة الماسوشية وقد تأخذ شكل العض، القطع، الوخز، الشكّ أو أن يطلب من الطرف الآخر التبول أو التبرز عليه، وهناك البعض يؤذى نفسه أثناء الممارسة الجنسية إما بتقطيع جسمه مثلاً أو باستخدام صاعق كهربى، البعض يتورط فى ممارسات جماعية حيث يعامل كضحية، أو كطفل لا حول و قوة وفى الغرب تقوم بائعات الهوى بأدوار سادية ترضى المازوخيين.

وجزء من الفعل المازوخى هو أن يخنق السادى الماسوشى حتى يزرق وجهه، وتنخفض نسبة الاكسوجين فى المخ مما يؤدى إلى (إثارة جنسية شاذة تماماً) وصفت علمياً بأنها اسفكى الخنق الجنسى (Sexual Asphyxia) وفيها يدخل الماسوشى فى إطار عمليات مركبة منها الربط، والشدّ، والخفق مما يؤدى إلى الحرمان من الأكسوجين وقد يتزامن مع ذلك ارتداء ملابس الجنس الآخر. وهذه تحديداً ممارسات خطرة للغاية وتحتوى على تخيلات جنسية فظيعة، ومن ضمن الدراسات التى روجعت فى بريطانيا وجد أنه ما بين (١٥٠ــ ٢٠٠) حالة وفاة نتيجة هذا النشاط الجنسى السادى الماسوشى.

لماذا يقبل الناس على مشاهدة الفضيحة ؟؟

سحر البورنو الخاص هذا ؟

ما بين النفس و الجنس تأتى (ثقافة الصورة) وتستخدم فى إطار التكنولوجيا الحديثة من استخدم الأسطوانات المدمجة CD و الكمبيوتر و الكاميرا فى تحويل المشهد الجنسى الخاص إلى وثيقة يتداولها الناس سراً ،وعلناً التلصص الجنسى وعقدة الاستعراض ، وقد يكون هذا نوعاً من التشفى والتشوش لدى العامة ، لكن ما الذى يدفع رجلاً، شاباً، مراهقاً، لأن يدس يده فى جيبه ليدفع عشرين جنيهاً مرة واحدة لشراء شريط فيديو أو CD ليطالع عليه رجلاً أو امرأة يمارسان الجنس، وهو ربما كان فى حاجة ليبقى تلك الجنيهات تحسباً للزمن الأغبر، أو علّه أراد أن يشترى بها كتاباً من معرض الكتاب، أو أن يعطيها عيد، أو يقتات بها، أو أن تكون ضمن ميزانية الكسوة القادمة، أو يخصصها لدروس الأولاد. ولماذا يصور رجل ما نفسه مع (زوجته) أو غيرها بالكاميرا الخفية ودون علمها ولماذا ولع بعض رجال الأعمال الشديد بالتردد على صناديق التلصص على بائعات الهوى وهن يتعرين قطعة قطعة ويتلوين بمؤخرتهن وصدورهن وهو يراقبهن الواحدة تلو الأخرى من فتحة كثقب الباب؟! لماذا تلجأ فنانة ما — والعهدة على الراوى — لإعطاء صحفى صورتين لها صورة للنشر وصورة لغرفة نومه؟!! هل هى عقدة الاستعراض، أم أنها قوة اضطرارية وفعل جبرى ،قسرى، قهرى يجبر المتعاملين فى المسألة على الاندفاع نحو الشهوة والشهرة والفضيحة ؟! معظم الممارسات الجنسية (من على بعد) بالمشاهدة بالتلصص بالاستعراض تحوى فى داخلها (نوعية من العدوانية المختبئة) ويكون فاعلها مضطرباً متهيجاً والغريب أن هؤلاء الرجال يكونوا (مستقرين) مادياً وعائلياً بمعنى أن لهم

زوجة وأولاداً ودخلاً ثابتاً إذاً فلماذا يقبلون على المخاطرة، على أمور تحوى فى بطنها إمكانية نسف كل شيء وضياع كل شيء.

فهل من صور نفسه فى أوضع (خاصة) لم يخطر بباله أنها ستقع فى يد من ينشرها على الملأ، أم أنه فى العقل الباطن كان يود أن يراه الجميع وهو يستمتع أو عله كان لا شعورياً يود أن يستمتع بما قد يحدث. فهو يحمل فى عقله بذرة الخطر والتشويق والرغبة الخفية فى الفضيحة وكأنها نوع من (الماسوشية) (التلذذ بالألم)، ويلتقى هذا مع تفضيل الرجل لأن يكون مستلقياً على ظهره وزوجته فوقه الاستمتاع بغير المألوف وتمنى أن يكون على شاشات الكمبيوتر والتليفزيون فى كل البيوت تقريباً ــ [خصص برنامج القاهرة اليوم الذى يقدمه عمرو أديب ورجاء الجداوى أكثر من حلقة ــ على حَد علمى لمناقشة أمر الشريط الـ CDوأصَرا على أن يناقشا العموميات. لماذا يقبل الناس بهذا الشكل وينشغلون بهذا الشكل على متابعة وملاحقة وشراء الشريط فانصرفوا عن حرب العراق المحتملة، وعما يحدث فى فلسطين المحتلة، انصرفوا عن حياقم اليومية وانغمسوا فى القضية بل ولهثوا خلفها وتحلقوا حولها!!؟

ذكر أحد المشاهدين من الكويت أنه شاهد الشريط الأخير عشر مرات وكان يتحدث عبر الهاتف بلغة عربية إسلامية وقال فيما قاله أنه حرص على تكرار المشاهدة من أجل الحصول على مناعة ضد الشر والحرام ولكى يستطيع أن يهدى ويهتدى الناس من خلال التعلم من الفضيحة (......) إن من يعشقون (البورنو) يودون الحصول على جنس خام)، شئ يشبه الذهاب إلى بائعة الهوى ؟! دون أن يكلف نفسه مواجهتها كبشر وما يحى ذلك من إرهاق نفسى وتوتر جنسى شديد، أو عله ذلك المراهق/

الشاب/ الرجل/ يريد أن يكون (رجلاً مثل كل الرجال) يشترى (الأيقونة) (شريط الفيديو الـــ CD) ويختفى فى ركن ما، فى غرفة ما، ليشاهده؟!

وحيداً (ربما كان ذلك نوعاً رخيصاً لشراء امرأة ورجل والتمتع بهما وهما فى خلوة ممتدة وخاصة جداً) وهناك نوعية أخرى من الرجال يذهبون سوياً فى حفل جماعي، فى نزهة ترفيهية ويضعون الـــ CD ويلفون سجائر الحشيش ويدخنونها ويحملقون فى الشاشة الصغيرة، يضحكون عالياً، يرتمون على الأرض، يسقطون فى الممرات حتى يطلع الفجر، وهذا فى حد تصورنا (فعل اجتماعى) يقابل (الفعل الاجتماعى الفاضح) بالاستيلاء القانونى على (المادة) ثم (تسريبها) ثم (بيعها) ثم (تداولها) ثم (مناقشتها) إذاً فهى صناعة رائجة، وهى تجارة رابحة، وهى سلوك اجتماعى مما لا شك فيه أنه جانح وغير متسق قيمياً مع أمور كثيرة لكنه ـــ للأسف ـــ متناغم مع بنية مجتمع متوتر انقلبت فيه الموازين واضطربت فيه المؤسسات، وتزعزعت فيه اللمحة الأسرية المجتمعية التى كانت لها فى الماضى خطها الأحمر، الواضح جداً.

ويستقى الرجال من الصور والشرائط خيالات شتى وفانتازيا تتلون بلون كل فرد وكل مجموعة بكل مكان وزمان.ودون لى عنق طب النفس وعلومها فإن مجرد الاحتفاظ بال CD أو شريط الفيديو دون مشاهدتها هو نوع من (الفيتيشة) Fetishism أو الإثارة والهياج والإشباع الجزئى بشكل مادى (أى ليس من لحم ودم) لكنه فى حالتنا هذه يحوى صوراً حية لرجل وامرأة من لحم ودم، لكن فى حالات أخرى أكثرها الاحتفاظ بالأحذية الكثيرة أو عشق ملابس المرأة أو ممارسة جنس جانح غريب معها ويكون الـــCD وشريط الفيديو، الحذاء ذو الكعب العالي، الملابس الداخلية،

(شئ) Fetish بديلاً بلا روح للمرأة يجد فيه الرجل المحروم ضالته ونعمته، ويجد فيه الرجل المتزوج رائحة من جنس بعيد مع امرأة لا يعرفها ويتمناها.

والسؤال الآن — هل بعد فترة تزول الفكرة وتنمحي، يذوب الوهج — نعم؟! وكأننا فى مصر فى مصر — فى حاجة إلى (حدث) يشغلنا، يلهينا، يرهقنا، يمتعنا بعيداً عن رتابة الحياة اليومية . لكن مما لا شك فيه أننا مجتمع يقوده الحدث EVENT DRIVEN SOCIETY فمتى سنكون مجتمعاً يحركه التخطيط المنظم والحركة الداخلية ومجموعة القيم العامة مع الاعتراف الكامل بأن كل مجتمع سوءاته ودروبه المظلمة وفوانيسه السحرية.

إن حركة الشارع المصرى لهاثة وراء النجوم فى جريدة أو شريط أو CD،فضيحة تغذيها تلك الكثافة السخيفة من الفضائيات والتليفزيونات التى تدلل نجوم الفن والمجتمع وتصنع منهم تماثيل من العجوة يأكلها الفقير قبل الغني، أو تماثيل من الجبس تزين مكاتب السادة المحترمين أو يضعها سائقو التاكسى على التابلوه أو يرميها زبال فى قاع عربته التى يقودها حمار فى بطؤ قاتل داخل شارع راق محاولاً التأنى للتلصص على من يطلون من النوافذ شبه المفتوحة فتدخل رائحة القمامة وتتسلل إلى كل البيوت وتظل هناك حتى بعد أن يختفى لينتقل كالبطل الدون كيشوتى إلى ميدان إلى حارة وما خفى كان أعظم.

الكل ـــ بدون استثناء ـــ يتساءل ومعهم الحق؟!

ما الذى يدعو بيل كلينتون إلى المقامرة والمغامرة، وهو صاحب الجاه والسلطان، وهو رئيس أقوى دولة فى العالم؟!

وما الذى يدعوه إلى ما يمكن أن يكون صحيحاً، إذا افترضنا ذلك بناء على ما هو متاح من أنباء وشرائط وشهود؟!

هل هى قوة الجنس الطاغية، هل هو نوع من الإدمان؟! ولماذا؟!

فإذا تخيلنا أن الرئيس الأقوى الفتوة على الشعوب العربية والشعوب الضعيفة عامة، وفى ليبيا وفلسطين والعراق خاصة، إذا تخيلناه مستلقياً على أريكة فرويد، تاركاً نفسه لعنان الاستدعاء الحر والتداعى المستمر لتاريخ حياته وبطولاته وغرامياته!!

ومسألة أريكة فرويد والاستلقاء النفسى هذا ليس غريباً على رجال البيت الأبيض، فجورج بوشف السلف الصالح لعمنا كلينتون قال لمراسلى وكالات الأنباء الذين حاولوا فيما حاولا أكثر من مرة »تحليله نفسياً وسياسياً« قال لهم: »لا تضعونى إلى أريكة التحليل النفسي«؟!

القوة... ليست بالطبع قوة العضلات على الرغم من أن (بيل) يمتلك جسداً فحلاً، فإن قوة الجاه والمنصب عند الرجل، مثيرة وشديدة الإغراء للمرأة، ولكن ترى هل ذلك سببه تلك الحالة المطلقة من العظمة والقوة، وتلك الثقة الزائدة الطاغية بالنفس، وهذا الامتلاك اللامحدود لينابيع

الثروة التى لا تجف. إذا سألت امرأة ما فى محيط ذلك الرجل لوجدت ان الإغراء لا يحتمل وأن الرجل القوى له جاذبية خاصة.

الرجال يسعون إلى القوة، يجرون وراءها حتى لو كانت على حواف قوس قزح وفى قلب ألوانه، وهناك من يقول استناداً على بعض الأبحاث إن الرجال الأقوياء »لسبب غامض« يحدوه البعض إلى ارتفاع نسبة التستسترون فى الدم (الهرمون الذكري) إنهم متدفقو الرغبة والطاقة الجنسية، ويقال أيضاً إنها تلك الدفعة والطاقة الجنسية هى التى تدفع إلى النجاح السياسى، وكأن امتلاك القوة يملأ الوقود الخاص بالطاقة الجنسية.

فالخلف الأسبق ــ لبيل كلينتون، جون كيندى، كانت سمعته النسائية عالية، ومؤخراً أصدر كتاباً فى أمريكا يفصل علاقاته الغرامية ويقال: إنه إذا لم تكن فى محيطه أكثر من امرأة لفترة أطول من ثلاثة ايام أصابه صداع شديد.

وعلى هذا المنوال يجيء ذكر السناتور جارى هارت والفحلاين أوناسيس وخاشقجي.. ولكن حالة كلينتون تعد مختلفة عن مثيلاتها من المشاهير والملوك والرؤساء؟! فهى حالة تمر على حد السكين، ما الذى يدعوه للمخاطرة والمغامرة بسمعته خاصة مع زوجته وابنته، ومن ساندوه، أعضاء حزبه؟ لماذا يكون ــ إذا صح ما قيل ــ غبياً إلى هذا الحد؟!

السيرة الجنسية للرئيس

يقول الكاتب جوناثان ألتر إن الأطباء النفسيين وعلماء النفس الذين يدرسون حالة كلينتون النفسية والجنسية ممنوعون من الإدلاء بأية أحاديث أو تصريحات فى هذا الشأن بأمر القانون المهنى، ولما سألهم ألتر عن

(تشخيص) حالة كلينتون امتنعوا عن الإجابة، لكنهم لم يؤثروا الصمت المطلق، فلقد أشاروا ببعض الإيحاءات!!

هذه الإيحاءات تركزت على السيرة الذاتية والحيوية (البيولوجية) لكلينتون.

صرح الرئيس الأمريكى فى حفل فى البيت الأبيض عام ١٩٩٣ أن رفاقه كانوا يسخرون منه لوزنه الزائد جداً حينما كان طفلاً (وهو بذلك، بالاتجاه إلى كسب الإغراء النسائي، يغطى نقطة ضعف حدثت فى الطفولة.
وكما قال "بن ستايس"، الكاتب والطبيب النفسى، وكما أن كل عقد الطفولة يصعب إصلاحها تماماً، أو حلها كلية، هناك محاولات لحلها، لملء فراغها الشاسع، على حساب الآخر الذى يحبه كلينتون، ويقال إن كلينتون قد خدع امرأته (هيلارى رود هام) أكثر من مرة حتى قبل أن يتزوجها، وما يقال إن سلوكه الجنسى قد تغير بعدما صار رئيساً هو محض هراء، يميل أطباء النفس المؤرخون إلى رؤية اثنين كلينتون (بيل الأمل)، و(بيل الساخن).

أسرار عائلته!

تقريباً كل شخص فى عائلة كلينتون عانى أو يعانى من الاضطراب القهرى أو من (الإدمان) أبوه الحقيقى، وليام بلايث، الذى مات قبل أن يولد (بيل) كان زير نساء. بعض المحللين النفسيين يرى أن مادة الدوبامين الموجودة فى مخ الإنسان مرتبطة بالإدمان، بما فى ذلك إدمان الجنس، وأن هناك نظرية قوية تؤيد أن هذه المسألة تخضع للعوامل الوراثية.

أما زوج أمه فكان مدمناً للخمر (!!)
وأخوه روجر كان مدمناً للكوكايين(!!)

وكانت أمه فيرجينيا مدمنة على سباق الخيل(!!)

وإذا عدنا إلى مسألة (العادة القهرية) لوجدنا أن المصاب بها لا يدرك النتائج، كما لو كان تحت التنويم المغناطيسي، وكما لو كان الرئيس الأمريكى منوماً، نزعت عنه كل أستار التحكم فى النفس وضبطها، العالم النفسى الشهير كارل يونج رأى اللاشعور وكأنه جبل الجليد، له حجم وأبعاد أكبر وأضخم آلاف المرات من قمته التى يراها الناس، وعلى الرغم من أن فرويد ويونج قد صارا موضة قديمة فإننا نحتاجهما كثيراً الآن لتفسير بعض الظواهر.

هل يعانى الرئيس من آثار (كيمياء القوة)، هل هناك علاقة ما، كما أشرنا سابقاً بين الشراسة والقوة فى ميدان القتال، أو فى قاعات الاجتماعات،

الفهرس

للمؤلف

مؤلفـــــــات باللغة الإنجليزية

- "المرضى والمؤسسات المهنيــة والخـــدمات الصحية" ـــ بحث قدم للمـــؤتمر الـــسادس لتطوير الصحة العقلية — لنـــدن ســـبتمبر ١٩٩٦ — نشر كفصل فى كتاب عـــن دار نشر أشجيت ـــ لندن عام ١٩٩٧.
- باحث مشارك فى كتـــاب تطـــور دليـــل مساعدة النفس لمرضى اضطراب الشخصية الحدودية مع لورين بيل ـــ خريف ٢٠٠٠ .
- "دور التنويم الإيحائى فى علاج الإدمان " ألتا بمز الطبية الأيرلندية ، نوفمبر ١٩٨١.

كتب صدرت بالعربية

١. "التوتر العصبى " ـ الدار القومية للنشر والتوزيع — بنغازى —ليبيا ١٩٧٧ .

٢. الطير يهاجر إلى كون سرمدى — مجموعة قصص قصيرة — الهيئة العامة للكتاب — مصر ١٩٨٦

٣. الصحة النفسية للأسرة — الدار السعودية للنشر والتوزيع — جدة ١٩٨٧ .

٤. "كيف تتغلب على التوتر" ؟ – "كيف تتوقف عن التدخين" ؟ – "كيف تقوى ذاكرتك " ؟ كتاب وكاسيت – الـــدار المصرية للنشر والتوزيع، قبرص القاهرة ١٩٨٨.

٥. "سيكولوجية الإرهاب السياسي" – إصدار خاص – القاهرة ١٩٩١ .

٦. "كل ما يجب أن تعرفه عـــن الـــصرع " – الدار العربية للنشر – الدوحة ١٩٩١.

٧. " البنت والنورس" – مجموعة قصص قصيرة .

٨. "الاضطراب الجنسى ـــ الأبعاد النفسية للرجل والمرأة" ـــ دار الهلال ـــ القاهرة ـــ أبريل ٢٠٠٢.

٩. " مشاهد من على كرسى الطبيب النفسى " ـــ الهيئة العامة للكتاب ـــ مكتبة الأسرة ـــ القاهرة ـــ ٢٠٠٤.

١٠- "شادى عبد الموجود" ـــ مجموعة قصـــصية ـــ دار ميريت للنشر ، ٢٠٠٧.



صدر أيضاً عن دار ملامح للنشر

عن الهمس الذي يشيح بوجهه	شعر	سعيد أبو طالب
أسباب وجيهه للفرح	شعر	عمر مصطفى
النبي الافريقي	نصوص	مينا جرجس
روجرز	رواية	أحمد ناجي

